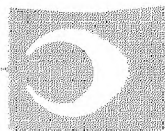


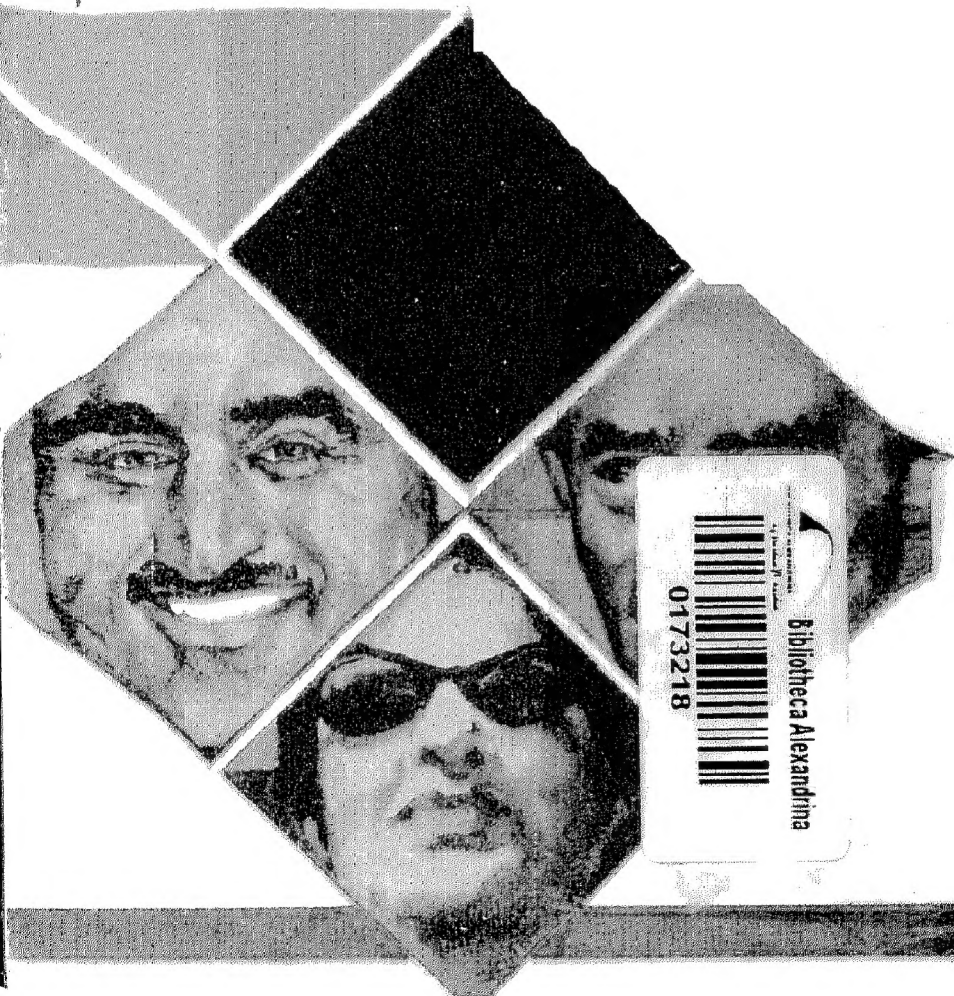
كتاب الهلال

# كلمات مصرية

حلمي سلام



مكتبة  
مصرية  
عصرية



0173218



Bibliotheca Alexandrina

# كتاب الهلال

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس مجلس الإدارة: مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير: مصطفى نبيل

سكرتير التحرير: عايد عياد

## مركز الإدارة

دار الهلال ١٦ محمد مز العرب

تليفون ٣٦٢٥٤٥٠، سبعة خطوط .

KITAB ALHILAL

العدد ٤٣٩ - ذو القعدة ١٤٠٧ - يولية ١٩٨٧

NO — 439 — July 1987

## الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى ( ١٢ عددا ) فى جمهورية مصر العربية تسعة حنيهاً بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان ثلاثة عشر دولارا او ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرين دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج م . ع نقدا او بحوالاة بريدية غير حكومية وفى الخارج بتحويل مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب

# كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغلاف بريشة الفنانة :  
سميحة حسنين

اهداءات ٢٠٠١

المهندس / محمد عبد السلام العمري  
الإسكندرية

# كلمات مصرية



بقلم  
حامى سلام



دار الهلال



## هذه الكلمات

رات هذه الكلمات النور ، لأول مرة ، على صفحات مجلة « الفجر » التي كان لي - بمعاونة كتيبة صحفية مصرية شابة - شرف تأسيسها في « الدوحة » عاصمة دولة قطر ، على مدى سنتين هما كل عمرها الذي بدأ من أول يناير سنة ١٩٧٤ . . ولم يمتد الى أكثر من آخر ديسمبر سنة ١٩٧٦ ، بعد أن هبت عليها - من الجهات الأربع - رياح المتاعب ، فتوقفت عن الصدور . إذ كانت قد جاءت الى الساحة الصحفية العربية وقد جعلت أول مادة في دستورها أن تكون خالصة للعرب جميعا . . تقول كلمة الحق لوجه الحق وجده ، لا تنشد رضاء زيد . . ولا تحاذر قضب عبيد ، فكانت النتيجة أنها أغضبت زيدا . . وعبيدا معا . فصودرت في العراق مرات . ومنعت نهائيا ، من دخول سوريا . وصودرت في الكويت مرات . وصودرت في مصر مرة أو مرتين . ومنعت مرات من التوزيع داخل قطر نفسها ، إلا بعد أن نزع منها بعض صفحاتها . ١١

لكن « الفجر » لم تعبأ بهذه المصادرات جميعا ، ومضت في طريقها لا تنظر الى يمين . . ولا الى شمال . . فقط ، كانت تنظر الى امام . . وامامها كان مكتوبا بالخط العريض : كلمة الحق لم تدع لي صديقا . ولقد كانت آخر رياح المتاعب التي هبت على « الفجر »

عندما طلبت منى السلطات القطرية مفادرة « الدوحة » خلال ثمان واربعين ساعة .. بسبب مقال كتبه تعليقا على « خبر » انفردت بنشره صحيفة « السياسة » الكويتية . ومؤداه « أن العدة تعد فى « القاهرة » لاعلان السيدة « جيهان السادات » نائبة لرئيس الجمهورية » !! ..

وغضب أصحاب « الفجر » مما قرره سلطات قطر فى شأنى . راوا فيه تعديا على كرامتهم الشخصية من ناحية .. وتعديا ، من ناحية أخرى ، على النهج الذى اختاروه ، بانفسهم لانفسهم ، ولم يكرههم عليه أحد .. فطلبوا من السلطات القطرية - كتابة - أن تعيد النظر فيما قرره تجاهى ، والا .. فانهم سوف يفلقون « الفجر » .

كان تقدير أصحاب « الفجر » أن صحيفتهم ، بالنجاح الكبير .. والسريع .. الذى حققته فى زمن قياسي ، بين شعوب المنطقة .. سوف يجعلها أمز على السلطات القطرية من أن تكون سببا فى قصف عمرها . لكن أصحاب « الفجر » نسوا أن ذلك النجاح الكبير .. والسريع .. الذى حققته صحيفتهم ، باستقلالها الحقيقى عن جميع الذين يمسكون بأيديهم ذهب المعز .. وسيفه ، بمن فيهم حكومة قطر نفسها ، لا يمكن الا أن يكون هو نفسه السبب الاول .. والاخير ايضا .. لمحاولة وادها .

ولقد كان ..

رفضت السلطات القطرية الاستجابة لمطلب أصحاب « الفجر » . فقررروا ، من ناحيتهم ، أنها النهاية ... اغلقوها . « واذا الموءودة سئلت : باى ذئب قتلت ؟ »



.. فلن تجد المسكينة ما تستطيع أن تجيب به سوى  
حولها : حرصت ان اقول « كلمة الحق » لوجه الحق  
وحده .. فأوردني « حرصى » موارد الهلاك !!



على صفحات هذه المجلة التى أوجزت لك ، فيما تقدم  
من سطور ، قصة حياتها وموتها ، وعلى مدى سنتين هما  
كل عمرها .. مضيت أكتب هذه الكلمات . كنت أكتبها ،  
أسبوعيا ، تحت عناوين مختلفة .. وأيضاً بتوقيعات  
مختلفة .. فبعضها كتبته تحت عنوان : « شمع الفجر »  
ووقعته باسمى الصريح . وبعضها الآخر كتبته تحت  
عنوان : « مجرد ملحوظة » ووقعته بتوقيع : « الملاح  
الاسمر » . وبعضها الآخر كتبته تحت عنوان : « راي » ..  
ووقعته مرات باسمى .. وتركته مرات بلا توقيع . هذا  
الى جانب سلسلة مقالات من أسرار ثورة ٢٣ يوليو  
تحت عنوان : « رحلة .. فى أسرار الاس » .

وحين عدت الى قراءة ماكتبته من كلمات ، بعد عشر  
سنوات من رحيل « الفجر » من عالم الصحافة العربية ،  
وجدتها - لدهشتى - وكأنها كتبت الساعة ، وليس من  
عشر سنوات مضت . فالمسرح العربى لا يزال هو نفس  
المسرح .. والابطال لا يزالون هم نفس الابطال .. مع  
تغييرات طفيفة فى شخصيتين أو ثلاث : أنور السادات  
فى مصر . وسليمان فرنجية فى لبنان . والشاه محمد  
رضا بهلوى فى ايران . لكن الرواية « المأساة » التى  
كانت تدور ، من عشر سنوات ، فوق خشبة هذا المسرح ،  
لا تزال هى هى دون ما تغيير ولا تبديل .. اللهم الا أن  
يكون مرور الايام قد زأدها نسخونة وحدة .. وزأدها ،

بالتالى ، قدرة على تمزيق القلب وسفح الدموع !!  
 وبينما انا ماض فى قراءة هذه الكلمات .. اذا بى  
 استشعر نحوها قدرا من الاعزاز لها .. والاعتزاز بها .  
 ليس بوسعى أن اصفهما . ولم يكن مصدر هذا الاعزاز ..  
 وذلك الاعتزاز .. هو اننى صاحبها . وانما كان مصدره  
 انبا كسفت لى - فى غير موارد - عن أن قوة ما ، فى  
 الغربة ؛ لم يكن فى مقدورها أن تحملنى على أن اغير جلدى  
 أو أن يجعلنى أنسى «مصريتى» كما ينساها كثيرون ، للأسف  
 الشديد ، عند الباب الخارجى لمطار القاهرة ،!! بل لقد  
 احتفظت بمصريتى معى .. فى دمى .. وتحت جلدى .  
 وانه لصحيح أن احتفاظى بمصريتى .. فى دمى .. وتحت  
 جلدى .. قد جر على متاعب كثيرة . الا اننى - والحق  
 أقول - كنت جد سعيد بهذه المتاعب . ولئن كان «شوقى»  
 قد قالها من منفاه فى الاندلس :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه  
 نازعتنى الية فى الخلد نفسى

فان « قطر » لم يكن بها خلد .. ولا شبه خلد .. يمكن  
 أن يشغلنى - ولو للحظة - عن « مصر » وما يحدث  
 فيها .. وما يحدث لها . ومن هنا ، جرى قلمى بكلمات  
 كثيرة عنها : عن زعامتها وريادتها .. عن قادتها وزعمائها  
 .. عن صحافتها وكتابها .. عن فنونها وفنانيها .

\*\*\*

وانى لاحسب ان كثيرين قد قرأوا هذه الكلمات ، من  
 قبل ، فى مجلة « الفجر » . ولكن .. اكثر منهم ،  
 ولا شك ، الذين لم يتح لهم أن يلتقوا بها .. ولا أن

يقراوها .. ومن هنا جاء حرصى على أن أقدمها لهم بين  
 دفتى هذا الكتاب ، لكى ماثكون شاهدا : .. ودليلا بين  
 أيديهم .. على أنه اذا كان ثمة كتاب يتغيرون .. ويتلونون  
 .. ويتمتمون ببراعة « الحرياء » فى تبديل جلودهم ..  
 فان ثمة كتابا آخرين استطاعوا - تحت أصعب الظروف  
 .. وايضا تحت أقسى الجراح - أن يحتفظوا لانفسهم  
 بالزائنهم .. وبتوازنهم .. وبصورتهم التى عرفهم الناس  
 عليها .. فلم يتغيروا ، ولم يتلونوا - ولم يبدلوا - ببراعة  
 الحرياء - جلودهم .. ولم يملوا من أن يرددوا للناس ..  
 ولانفسهم ، فى كل آن .. وفى كل مكان :

**بلادى وان جسات على عزيزة  
 واهلى وان صنوا على ترام**

## حرب أكتوبر ... والأبرة والمئذنة

مهما جحد الجاحدون فضل « حرب أكتوبر » ..  
ومهما أنكر المنكرون قدرها ، ومهما تطاول المتطاولون  
عليها . فليسوف تبقى هذه الحرب - على الرغم من ذلك  
كله - علامة مضيئة في تاريخ الأمة العربية ، وفي تاريخ  
الإنسان العربى ، وفي تاريخ الإرادة العربية .

فلقد استنقذت « حرب أكتوبر » ، الشرف العربى ..  
والكرامة العربية .. من بئر عميقة كانا قد هويا إليها .  
ولم يكن لاستنقاذهما من هذه البئر العميقة - فى نظر  
الكثيرين .. ان لم يكن فى نظر الجميع - من أمل .  
كذلك لم يكن لخراجهما منها - فى نظر الجميع - من  
سبيل . فلما تحقق الأمل ، ووجدت السبيل .. نسي  
الحاقذون ، والمنكرون ، الحرب نفسها .. وراحوا  
يتلمسون « ثغرة » وقعت فيها ، واعتبروا أن هذه « الثغرة »  
هى النتيجة التى انتهت تلك الحرب إليها .! أما عبور  
القناة ، بعد أن كان قد استقر فى يقين الجميع أنها ان  
تعبر ، فلا شيء . وأما سقوط « لخط بارليف المتيع » ،  
بعد أن كان قد استقر فى يقين الجميع أنه لن يسقط ،  
فلا شيء . وأما انهيار أسطورة جيش إسرائيل القوى ،  
بعد أن كان قد استقر فى يقين الجميع أنه جيش لا يهزم ،  
فلا شيء .. وتلك هى طبيعة الحاقذين ، انهم يرون  
« الأبرة » ويعجزون عن رؤية « المئذنة » . إلا ان الحقد

مهما اشتعل .. ومهما كبر حجمه .. وكبر ، وكبر ،  
فانه لن يستطيع أن يحول « المثلثة » الى أبرة .. هذه  
هى قوانين الحقيقة . وهى أقوى من الحقد ، وأعظم ..  
وإذا كان الحقد أسود ، فان الحقيقة بيضاء .. وما كان  
للسود أن يحجب شيئاً أبيض .

والحقيقة الناصعة البياض هنا ، هى انه - فى ٦  
أكتوبر سنة ٧٣ - انتفضت ارادة الرجال ، وعظمة الرجال  
وشجاعة الرجال .. انتفضت لتطهر عرضاً ، وتستنقل  
شرفاً ، وتخلص كرامة من وحل اسود كان قد لطمها .

ولم يكن العرض ، والشرف ، والكرامة .. عرض فرد،  
ولا شرف فرد ، ولا كرامة فرد .. وانما كان عرض  
أمة ، وشرف أمة ، وكرامة أمة .. شاعت الاقدار أن  
تظن بقادتها الظنون ، وأن تظن بمقاتليها الظنون .. بعد  
أن رأى العالم ، وسمع ، انهم فقدوا كل شيء .. كل  
شيء .. فى ست ساعات ، وليس أكثر . ١١

فى ضوء تلك النهاية الاليمة التى كنا قد انتهينا اليها  
فى حرب ٦٧ - كان ينبغى أن تقيم « حرب أكتوبر » .  
لكن الحقد ، كما ذكرت ، اسود . والسود عمى . وماكان  
بإستطاعة أعمى أن يرى الراية العربية ، وقد غرسها  
المقاتل العربى غرساً فى قلب « بارليف » .. ولانه أعمى،  
فانه لم يستطع أن يرى من تلك الحرب شيئاً غير « الثغرة »  
.. ولانه أعمى فانه لم يستطع أن يقرأ التاريخ ، ولا أن  
يعرف شيئاً عن هزيمة الحلفاء ، فى أوائل الحرب العالمية  
الثانية ، فى « دنكرك » . ولا أن يعرف شيئاً عن تراجع  
الحلفاء حتى العلميين . ولا أن يعرف شيئاً عن تراجع  
الروس ، فى نفس الحرب .. وأمام جحافل الألمان ، حتى

ابواب « موسكو » .. كل الذي استطاع ان يعرفه هو  
« الثغرة » في حرب اكتوبر .. وكان « ثغرات » خطيرة  
.. خطيرة ، قبلها ، لم تحدث . وكان « ثغرات » خطيرة ،  
بعدها ، لن تحدث .



تحية لذلك اليوم المجيد من ايام الامة العربية .. تحية  
لكل قائد ، ولكل مقاتل ، ولكل شهيد .. أسهم بارادته ،  
أو بشجاعته ، أو بدمائه .. في اضافة ذلك اليوم المجيد  
الى سجل هذه الامة ..

## السادات .. أنكى من أن يفعلها

الذين يتابعون اعمال السيدة جيهان السادات فى مجالات الخير المتعددة ، لا يملكون الا أن يهتفوا لها ، ومن اعماق قلوبهم ، تحية واعجابا .

ومن المؤكد أن هؤلاء الذين يهتفون ، ومن اعماق قلوبهم ، تحية لما تقدمه السيدة جيهان السادات فى مجالات الخير من عطاء ، قد تولاهم جزع شديد لما نشرته جريدة « السياسة » الكويتية - نقلا عن مراسلها فى القاهرة - من « أن المدة تعد هناك لاعلان السيدة جيهان قائبة لرئيس الجمهورية .. لدى التجديد الثانى للرئيس السادات فى رئاسة الجمهورية » !!

وهؤلاء الذين تولاهم الجزع لدى قراءتهم لهذا النبأ الذى نشرته الصحيفة الكويتية - وهى صحيفة صديقة لمصر .. وللرئيس السادات شخصا - إنما أصابهم ما أصابهم لأنهم رأوا فى ذلك النبأ الذى لم تكذبه أجهزة الاعلام فى مصر - رأوا فيه انتصارا لأولئك الذين كانوا - ومايزالون - حريصين على تشويه ما تقدمه السيدة « جيهان السادات » لمجالات الخير من عطاء ، وعلى تصويره بأنه « ليس غاية فى ذاته .. وإنما هو وسيلة

---

(١) يسببه هذا المقال صودرت ( الفجر ) ، فى احدى المرات التى صدرتها فيها « القاهرة » وأصدرت ( السلطات القطرية ) وأمرها الى ( الكاتب ) بصفحة ( الدعوة ) خلال ثمان وأربعين ساعة . وكان ذلك بناء على رغبة شخصه ابداها الرئيس الراحل ( أنور السادات ) .

فى عايه « .. وان هذه الغاية انما هى الطموح الى أعلى منصب فى الدولة » !!

واذا كان هذا سببا من اسباب ذلك الجزع الذى تولى أولئك الذين كانوا - وما يزالون - يهتفون ، ومن أعماقهم ، لعطاء السيدة « جيهان السادات » فى مجالات الخير .. فانه ، وبالتأكيد ، ليس كل أسبابه .. ولعله ، أيضا ، ليس أهم أسبابه . وإنما أهم أسباب هذا الجزع هو أن الذين جزعوا يعرفون « بحر السياسة » جيدا .. يعرفون انه « بحر » ترقد فى أعماقه كل « الأسماك المتوحشة » .. ويعرفون أيضا انه « بحر » كل شيء فيه جائز .. فليس ثمة قانون هناك ، ولا دستور ، ولا أخلاق ، ولا ضوابط . فالكلذب فى هذا « البحر » جائز .. والخداع جائز .. والتضليل جائز .. ولا شيء بهم . وإذا كان بعض الرجال ، أو كثير من الرجال .. يحملهم طبائعهم ، أو تكرهم أقدارهم ، على الخوض فى هذا « البحر » ، وعلى التعامل مع « أسماك المتوحشة » .. ومع أكاذيبه ، وأضاليه ، ونفاقه .. فما أحرى النساء أن يقفن بعيدا .. بعيدا جدا .. منه ، حتى لا تتحرك نحوهن « أسماك المتوحشة » لتنهش لحومهن بغير رحمة ، ولا شفقة .. اذ ليس أسهل ، بالنسبة لهذه « الأسماك المتوحشة » - وربما ولا الذ أيضا - من نهش لحوم النساء .. ولعل ما يحدث - الآن - لانديرا غاندى فى الهند .. وما يحدث لازيللا بيرون فى الأرجنتين .. قاطعا فيه الدلالة على أنه لا اعتبار لاحد - مهما كبر قدره .. وتعاضم تاريخه - لدى هذه « الأسماك المتوحشة » .. لا اعتبار لنهر - والد « انديرا » .. وصانع استقلال الهند -



ولا اعتبار لجوان بيرون - زوج « ايزبللا » وصانع استقلال  
الارجنتين الحديثة - فكل شيء فى « بحر السياسة »  
قابل للنسيان .. قابل للنسيان بعد لحظة ، وقابل  
للنسيان بعد حين ، فليس ثمة قانون فى هذا « البحر »  
المتقلب .. والمخيف .. يمكن أن يحول بين « أسماك  
التوحشة » .. وبين نهش لحوم البشر !!

وإذا كانت هناك سيدة اقتربت من « بحر السياسة »  
- أقول « اقتربت » .. أولاً أقول « غاصت - دون أن  
تنهش « أسماك التوحشة » لحمها ، فهذه السيدة هى  
« ملكة أنجلترا » . ولم تتعفف « الأسماك التوحشة »  
عن نهش لحم هذه السيدة ، ليس فقط لأنها تعلم أنها -  
أى السيدة الملكة - لا تملك « الجراة » على خوض  
« البحر » الذى ترقد فى أعماقه .. وإنما لأنها - أولاً ..  
وقبل كل شيء .. وبعد كل شيء - لا تملك « الحق » فى  
أن تخوضه .. فهى ليست أكثر من مجرد « رمز » ..  
« صورة من تراث » .. « ماسة فى تاج » .. يلد  
للبريطانيين أن يظلوا محققين به .. ربما كتحفة من أغلى  
التحف !!



ومن هنا أقول : انه إذا كان هناك من يحاول .. أو من  
يحاولون .. أغراء السيدة « جيهان السادات » بالانصراف  
عن « بحيرة الخير » الصافية ، الرقراقة .. الى « بحر  
السياسة » الأسود اللون ، المتسلطم الموج ، التوحش  
السمك - فأننى لا أستطيع ان أثق بحسن نواياهم نحوها ،  
ولا بأنهم يريدون بها أولها خيراً كثيراً .. أو قليلاً ، ليس  
ذلك فقط ، بل أننى أستطيع القول أنهم لا ينطوون على

شئ يحسن النية نحو الرئيس السادات نفسه .. ولا يريدون به ، أو له ، خيرا كثيرا .. او قليلا .

على اننى واثق - على الرغم من ان احدا فى مصر لم يكذب مانشرته صحيفة « السياسة » - من ان الرئيس السادات لا يمكن ان يفعلها ..

لماذا .. ؟

● أولا : لانه ، فيما اعتقد ، اشد ذكاء من ان يستدرج الى محذور خطير كهذا المحذور ..

● وثانيا : لانه رجل حكم عليه قدره بان يخوض - ومنذ شبابه الباكر - فى « بحر السياسة » .. واثق له ان يعرف الكثير عن اسرار هذا « البحر » ، وعن عواصفه .. وعن « الاسماك المتوحشة » التى ترقد فى اعماقه . ولان السادات قد اخاض ، ومنذ شبابه الباكر ، فى « بحر السياسة » فانه لن يستطيع ان ينسى ماالحق برجل كمصطفى النحاس - زعيم اكبر اقلية شعبية بعد سعد زغلول - بسبب سماحه لزوجته بان تقترب ، بصورة ، او باخرى ، من « بحر السياسة » فلقد نهشت . « الاسماك المتوحشة » لحم الرجل .. ولحم زوجته معه .. والصقت به ، وبها ، اشياء لا يعلم الا الله وحده مقدار ما فيها من حقيقة .. ولم يتردد اصداقا اصدقاء « مصطفى النحاس » فى النيل منه .. من خلال زوجته ، ومن خلال اقترابها من « بحر السياسة » .. واخذ تاريخ الرجل - وما من شك فى انه رجل ذو تاريخ - يتساقط ، منذ تلك اللحظة ، صفحة .. بعد

صفحة .. حتى نسي الناس ، أو كادوا ، ان الرجل كان له تاريخ !!

أنور السادات ، فى تصوري ، لا يمكن ان ينسى شيئا كهذا . لا يمكن ان ينساه كرجل غرق ، حتى الأذنين ، فى « بحر السياسة » . كما أنه لا يمكن ان ينساه كرجل جاء من أعماق القرية المصرية ، حيث يقتل الناس هناك ، وبلا أدنى تردد ، كل من تسول له نفسه أن ينال من « جماعتهم » بكلمة سوء .

وفى وقت ما .. لم يفضب الرئيس السادات من طلاب الجامعات حين قالوا فيه - شخصا - كل ما أرادوا أن يقولوا . لكن المؤكد أن غضبا ، بغير حدود ، قد تملكه ، ولم يستطع أن يتخلص نفسه منه بسهولة .. حين علم أن هؤلاء الطلاب قد تجاوزوه الى قرينته .

أنور السادات يعلم - من خلال ما أضابت اليه الحياة من تجارب - انه ليس ثمة شيء يمكن أن يحمى هذه السيدة الفاضلة ، اذا هى انتقلت من « بحيرة الخير » بحيث كل شيء صاف ، وورقاق ، ومضى للنفس بالحجب ، وبالأوفاء ، وبالأمل - الى « بحر السياسة » حيث لا شيء هناك الا العواصف ، والأمواج ، و .. و « الأسماك المتوحشة » .. ومن هنا ، فأننى أكاد أقطع بأنه لن يفعلها لا لشيء .. الا أنه قادم من أعماق القرية المصرية . وأيضا لانه أشد ذكاء من أن يفعلها .. مهما حاول الآخرون الذين لا أشك لحظة فى أنهم لا يريدون به ، أو له ، خيرا كثيرا .. أو قليلا .. أغراءه بأن يفعلها .

## قدر مصر ..!!

فى القاهرة ، قال « ياسر عرفات » « انه لا يستطيع ان يتصور انه يمكن ان يكون هناك حل لازمة الشرق الاوسط ، فى غياب مصر ، كما انه لا يستطيع ان يتصور انه يمكن ان يكون هناك حل لمشكلات مصر ، بدون العرب .

وماقاله « ياسر عرفات » انما هو حقيقة مؤكدة تاكد شروق الشمس من المشرق . بيد ان هناك حقيقة اخرى لها نفس القدر من التاكيد ، نستطيع ان نضيفها الى تلك التى اعلنها - وهى ان مصر - حتى لو استطاعت ان تحل مشكلاتها بعيدا عن العرب - فانها لا ترضى .. ولا تستطيع .. بل ولا تملك ان تتخلى عن انتمائها العربى . فلقد كانت مصر منتمية الى العرب ، وملتزمة بهم - باعتبارها جزءا من كل - قبل ان يكون لها اية مشكلات . بل لعل ماتعانيه مصر ، الآن ، من مشكلات صارت اكبر من قدراتها على الحل .. لم يكن ليصيبها شئ منها ، لو لم تخضع بوصفها الدرع ، والطلية - اربع حروب ضارية دفعت فيها مادفعت ، واصابها منها ما اصابها ، بسبب عروبتها التى قلنا انها لا ترضى ، ولا تستطيع ، بل ولا تملك ان تتخلى عنها ..

ان مصر هى الشقيق الاكبر للعرب جميعا . ولا يستطيع الشقيق الاكبر ولا هو يملك ، ان يتخلى عن اشقائه مهما وقع فى حقه من بعضهم .. او منهم جميعا . انه لا يستطيع

ذلك ، ولا يملكه ، لسببين :

● أولا - لانه الشقيق الأكبر .. ولانه الاكبر - فلا بد من أن يكون هو الاكبر .. والاكثر تسامحا فى مواجهة كل ما قد يصيبه من أشقائه الآخرين .. أو بسببهم .

● ثانيا - ان الشقيق الأكبر ، مهما بلغ من قوة ، فانه لا يستطيع أن يخوض فى بحر الحياة المتسلاطم الامواج .. والمشحون ، دوما ، بعوامل المد والجزر .. بعيدا عن أشقائه . انه - بهم - قوة .. وبدونهم ضعف . ولقد يضحي الشقيق الأكبر من أجل أشقائه الآخرين .. ولقد يحتمل منهم ، وفى سبيلهم ، ما لا طاقة له على احتماله لكنه - فى كل الحالات - لا يملك أن يضج .. ولا أن يتململ .. فذلك هو قدره .. وتلك هى ضريبة موقعه .. وعليه ان يدفع هذه الضريبة بكل الحب .. وايضا بكل الرضى . وهذا ، فيما نعتقد ، هو ما تفعله مصر اليوم .. وما سوف تظل تفعله قدا .. وبعد قدا .. من موقع القوة ، لا من موقع الضعف .. من موقع الايمان ، لا من موقع المسيرة ، من موقع المسؤولية لا من موقع الاتجار بالشعارات .. و « بطق الحنك » !!

## مصر زعامة ..!!

« مصر .. » زعامة « .. ولن ينتقص من قدرها  
 « زعامة » ان يتناول عليها المتناولون . ولان مصر  
 « زعامة » ، فانه يتحتم ان يكون كل ما يصدر عنها -  
 عن كتابها على وجه الخصوص - نموذجاً في « موضوعية  
 الحوار » . وليس من « موضوعية الحوار » في شيء ، ان  
 يصف زميل عزيز من الكتاب وزير خارجية سوريا بأنه  
 « الخدام » .! كذلك ليس من « موضوعية الحوار »  
 ان ينزلق زميل آخر ، فيتهم الاخوة الفلسطينيين بما  
 لا يجوز لعربي - تحت أية ظروف - ان يتهم به عربياً  
 آخر ..

وما صدر عن الزميلين العزيزين ، أدنى الى ان يكون  
 « نبأ » .. وما كان « السب » ، ولن يكون ، الا وسيلة  
 العاجزين . والكاتبان - كما أعرفهما - ليسا بعاجزين .  
 بل هما قادران - وكلاهما يحمل لسانس الحقوق - على  
 مقارعة الحجة بالحجة ، والدليل بما يدحضه . لكنهما  
 سمحا لنفسيهما بأن يستسلما « للأفعال » ، فوقعاً فيما  
 لا يجوز لمثليهما ان يقع فيه .. وبما أضحت محسوبا على  
 مصر نفسها ، اكثر مما هو محسوبا على أي منهما .

صحيح ان وزير خارجية سوريا قد تجاوز .. وصحيح  
 أيضاً ان بعض قادة الثورة الفلسطينية قد ارتضوا من  
 أنفسهم ان يتهموا مصر بالخيانة .. الا ان ذلك كله  
 لا ينهض مبرراً لان يتنكب الزملاء الكتاب طريق « موضوعية

الحوار » ، فليست هذه هي المرة الاولى - ولن تكون  
الاخيرة - التي تتهم فيها مصر بما اتهمها به السيد  
عبد الحليم خدام ، كما أنها ليست المرة الاولى - ولن  
تكون الاخيرة - التي يتهمها فيها بعض قادة الثورة  
الفلسطينية بالخيانة. وليس بعيد ذلك اليوم الذي اتهموا  
فيه « عبد الناصر » نفسه ، بنفس هذه التهمة الخطيرة  
والشائنة ، لانه قبل « مبادرة روجرز » . ثم عادوا  
فاستغفروا الرجل عما قالوه في حقه .. بعدما عرفوا  
« السر » وراء قبوله لهذه المبادرة .

وصحيح ان كل ذلك خطير ، ومستفز ، وجدير بان  
يذهب بصبر الصابرين .. ألا ان مصر - كزعامة ..  
وممثلة ، على وجه الخصوص ، في اقلام كتابها - مطلوب  
منها ان تعلق بنفسها فوق ذلك كله .. فلا تجاريه ، ولا  
تتوقف عنده ، ولا تسمح بان تجرجر اليه .. بعيداً عن  
« موضوعية الجوار » . فذلك هو قدر « الزعامة » ..  
وعلى « الزعامة » ان تتحمل - وبكل الصبر - تبعات  
قدرها ، مهما ظنت بها الظنون .

اننا شركاء معركة واحدة .. وشركاء مصير واحد ..  
وليس من حق شركاء المعركة الواحدة ، والمصير الواحد ،  
ان يلوث بعضهم بعضا ، ولا ان يحقر بعضهم بعضا ، ولا  
ان يدمر بعضهم بعضا .. واذا ماتجاوز أحدهم - والتجاوز  
وارد في كل وقت - فان على الاكبر ان يتحمل .. وان  
يحتمل .. والاكبر هنا هو « مصر » .. وذلك - واكرر  
- هو قدرها ..

## ناصر .. ليس نبيا !!

لم يقل أحد ان « عبد الناصر » كان نبيا من الأنبياء .  
كذلك لم يقل أحد ان الرجل كان بشرا فوق الأخطاء ، او  
أكبر من الأخطاء .. وانما كان « عبد الناصر » بشرا ككل  
البشر . يخطئ ، ويصيب .. ويوفق في أمور ، ويجانبه  
التوفيق في أمور أخرى . ولا اعتقد ان الذين يحاولون  
« تأليه » عبد الناصر ، او « تقديسه » يحملون له من  
الحب أكثر من أولئك الذين يحاولون تشويه صورته  
وتشويه سيرته ، وتحمله مسؤولية كل ما ارتكبه الآخرون  
في عهده ، من خطايا .. او من أخطاء ! .

الرجل أخطأ .. هذا صحيح ..

والرجل مسئول عن كثير مما وقع ، في عهده ، من  
أخطاء .. هذا أيضا صحيح . ولكن أخطاء الرجل ..  
ومسؤوليته عن هذه الأخطاء .. لا يمكن أن تنهض مبررا  
لهذه الحملة الشرسة التي شنها البعض ضد شخصه ،  
ضد عهده كله ، وضد تاريخه كله ، الى حد أن مناضلا  
وطنيا كالاستاذ أحمد حسين زعيم « جماعة مصر الفتاة »  
التي كان « عبد الناصر » ، في الثلاثينيات ، واحدا من  
جنودها .. حاول في مقال كتبه ، ذات يوم ، في صحيفة  
الأخبار - أن يجرده حتى من فضل قيامه بتأسيس  
« جماعة الضباط الأحرار » !! ولا اظن أن هناك تجن على  
تاريخ الرجل أبشع من هذا التجنى .

لا .. ليس الى هذا الحد يجوز أن تصل العسداوة



بالناس . ومسار مثل هذه السهام الطائشة لابد وأن يرد بها . فى النهاية ، الى صدور اصحابها .  
لماذا ؟ .

لأنها لم تنطلق ، أساسا ، من منطق تقييم موضوعى ، ودقيق ، وامين لحقبة من عمر مصر .. بل ومن عمر الامة العربية كلها .. استمرت ثمانى عشرة سنة .. سقطت ، خلالها ، عهود وقامت عهود .. وانزاح خلالها ، والى الابد ، حكام ، وحل محلهم آخرون .. وكان للرجل فى هذا كله - بصورة أو بأخرى - أثر أو آثار .

لقد انطلق المهاجمون ، وبكل مالداهم من « شراسة » ، يهاجمون عبد الناصر .. كذلك انطلق الدافعون ، وبكل مالداهم من « حماسة » ، يدافعون عنه . فكانت النتيجة أن ضاعت « الحقيقة » بين شراسة هؤلاء وحماسة أولئك وبين هذه وتلك ، لم يعد أحد يستطيع أن يعرف : أين الحقيقة .!!

ان « عبد الناصر » زعامة .. لأحد يجرو على انكار هذا . و « عبد الناصر » تاريخ .. لأحد أيضا يجرو على انكار هذا . ولقد وقع « عبد الناصر » فى الزعامة .. والتاريخ .. فى أخطاء قليلة ، أو كثيرة .. جسيمة ، أو صغيرة .. ولكن هذا كله شيء ، وان يقال عن الرجل - بالتجنى .. وبلافتراء - انه « لص » .. فذلك شيء آخر .. شيء لاعلاقة له - مطلقا - بالتاريخ ولا بالتقييم ، ولا حتى بفن « الاثارة الصحفية » . لان « الاثارة الصحفية » كما أفهمها - مع أبى لست من مدرستها - لا تنطلق ، أصلا ، من فراغ .. ولا تقوم على غير أساس .!!

## بدلة عبد الناصر ..!!

« جمال عبد الناصر .. بكل أمجاده ، وايضا بكل ماوقع فيه من أخطاء ، شخصية قَير قابلة للتكرار . انه واحد من « فلتات التاريخ » التي قد تقع مرة كل مائة سنة ، والتي قد لاتقع على الإطلاق . وربما لو كان « عبد الناصر » - بكل مميزاته الشخصية - وبكل مقومات الزعامة التي ولدت له « ومعه - قد وجد في بلد آخر قَير مصر .. لما صار له كل ذلك التأثير الذي صار له ، ولما أصبحت له كل تلك المكانة العربية والعالمية التي أصبحت له . بفض النظر عن كل المميزات الشخصية التي كانت لعبد الناصر .. بفض النظر أيضا عن كل مقومات الزعامة التي ولدت له ومعه ، إلا أن المؤكد أن مصر: بماضيها الحضاري والتاريخي ، وبموقعها الاستراتيجي ، وبكثافتها السكانية ، قد عكست ذلك كله على زعامته ، وأضفت عليها كل ماكان لها من ثقل على الصعيدين العربي والعالمي .

تلك هي الحقيقة المؤكدة ، والتي ماكان يجب أن تغيب، مطلقا ، عن أذهان البعض ممن يحلمون أو يتخيلون ، أنهم قادرون على أن يرتدوا « بدلة عبد الناصر » ويمتشقوا سلاحه .. ويلعبوا دوره !! .

انه تطلع صعب .. بل هو تطلع مستحيل .. لانه على فرض أن « الفلثة التاريخية » ، المثلة في عبد الناصر قد تكررت فيهم ، وبمثل هذه السرعة .. فان مصر :

التاريخ .. والواقع .. والكثافة السكانية ، سسنتظ  
تنقصهم .. وسيظلون هم مفتقرين ، أشد الافتقار ..  
وكل الافتقار ، الى ما يمنحهم الوزن والثقل ، سواء على  
مستوى المنطقة .. أو على مستوى العالم . ولو أن هؤلاء  
الذين يمارسون « التطلع المستحيل » الى ارتداء « بدلة  
عبد الناصر » ، وامتشاق سلاحه ، ولعب دوره - آمنوا  
بأن دورهم الطبيعي .. والصحيح .. هو أن يفلقوا على  
أنفسهم أبواب بلادهم .. ويبقوا هم وراء هذه الأبواب ،  
يصنعون .. ويزرعون .. ويعملون .. ويجددون انسان  
بلادهم .. ويفعلون - فى كلمة واحدة - كل ما فعلته  
الصين بنفسها لنفسها .. فلربما صار لهم شأن غير  
شأنهم .. ولربما صارت لهم مكانة غير مكانتهم ، ولربما  
أستطاعوا - نتيجة لذلك كله - أن يجدوا لهم مكانا فى  
التاريخ .. بجوار « عبد الناصر » .

## الزلزال ...!!

اعترفت « جولدا مائير » ...

اعترفت في مذكراتها : « ان مامنيت به اسرائيل من هزيمة ، في حرب أكتوبر ، لا يمكن أن تمحوه الايام .. ولسوف اعيش بحسرتى البقية الباقية من ايامى » .

ولم يكن سهلا أن تعترف « جولدا مائير » بهذه الحقيقة المرة . لولا انها - أى الحقيقة - أقوى منها .. ومن كل الصلف والغرور اللذين تتصف بهما الصهيونية ... و « مائير » واحدة من غلاتها !

وقالت « مائير » ، في مذكراتها ، « انها نادمة لانها لم تستجب لتحذيرات قلبها التى حدثها بأن العرب سيقومون بالهجوم صباح ه أكتوبر » .. واذا صح ماقلته « مائير » عن تحذيرات قلبها .. فليس من شك فى أن الله قد اعمى « هذا القلب » لكى يحدث ماحدث .. فليس معقولا أن يتخلى الله عن عباده المؤمنين الى مالا نهاية . انه قد يتخلى عنهم « لبعض الوقت » لكى يؤدبهم .. ولكى لا تأخذهم الخيلاء ولا الغرور .. كما حدث مع المسلمين الاوائل فى « غزوة حنين » ، فاذا ماعادوا الى الله .. وعرفوا اخطاءهم .. واقرؤا بخطاياهم .. فانه لا بد وان ينصرهم على اعدائهم .. خاصة اذا كان هؤلاء الاعداء من أولئك الذين قتلوا الانبياء ، وحنثوا بالعهد ، ولا وعد لهم ولا كلمة !

ولقد وصفت « مائير » حرب أكتوبر بأنها كانت « مأساة حقيقية بالنسبة لاسرائيل » . وكان لابد ان تكون كذلك . فحين يفرق شعب نفسه في الصلف ، ويستسلم بالكامل لفرور القوة التي يتصورها ان تهزم .. فان أية ضربة تصيبه ، انما هي « مأساة » بالنسبة له . فما البال اذا كانت هذه الضربة في حجم « ضربة أكتوبر » التي خلخلت اسرائيل من الداخل .. وأرغمت قادتها على ان يطلقوا عليها اسم « الزلزال » ؟!

لقد اعترفت « مائير » .. ولم يكن سهلاً ان تعترف ، وسوف تتوالى « الاعترافات » .. وليس المهم ان يعترفوا ولكن المهم ان يعوا الدرس ، ويتفهموا عبره .. ويتفهموا - قبل كل شيء - « ان الجريمة لا تفيد » . وليس هناك - في الماضي ، ولا في الحاضر ، وما اظن انه سوف يكون في المستقبل - جرائم اقبح .. ولا ابشع .. من جرائم الصهيونية التي هي نفسها جرائم اسرائيل !



عن :  
العرب .. وما سيهم !!

## لم نكن .. ولن نكون !!..

لم نكن - نحن العرب - ولن نكون ، فى مامن من  
تحرشات « الكبار » بنا .. ولم نكن - نحن العرب - ولن  
نكون ، فى مامن من مخططاتهم ، وتدبيراتهم ، ومؤامراتهم  
إذا تعذر ضربنا من الداخل ، فضربنا من الخارج ، ممكن  
.. ولا شيء . فى عرف « الكبار » صعب .. ولا شيء ،  
فى عرفهم ، مستحيل !!.

ففى سنة ٥٦ ، كان العدوان الثلاثى على مصر ، وفى  
سنة ٦٧ ، تكرر نفس العدوان .. ولكن ، بصورة أخرى !!  
وفى سنة ٥٨ ، كانت أمريكا جاهزة بأسطولها السادس  
للتدخل فى لبنان .. تماما مثلما هى جاهزة ، اليوم ،  
للتدخل بنفس الاسطول .. فى نفس البلد !! وكان الزمن  
لم يمض الى الامام مايقرب من عشرين سنة .. ذهب  
خلالها رجال ، وجاء رجال .. ولكن الهدف الشرير بقى  
ثابتا ، لم يصبه تغيير .. ولا تبديل !!

ولقد طرات علينا - نحن العرب - خلال تلك الحقبة من  
الزمن ، متغيرات كثيرة .. تكاثرت اعدادنا ، وتزايدت  
قوتنا ، وتضخمت ثرواتنا ، وظهر للعالم كله أن لنا  
أنيابا نستطيع ، وقت اللزوم ، أن نستعملها .

ولكن هذه المتغيرات جميعها ، كانت - لسوء الحظ -  
علينا ، وليست لنا . لماذا .. ١٤

لأنها أثارت مخاوف أولئك « الكبار » ، منا ، وحركت



أطعمهم بنا . فالعرب ، باعدادهم الكثيرة ، خطر كبير .  
والعرب - اقوياء - بالاضافة الى هذا - خطر اكبر .  
والعرب - اغنياء - بالاضافة الى هذا وذاك ، خطر اكبر ..  
واكبر . ومن هنا .. اتسعت دائرة المؤامرات ،  
وتزايدت ، وتزايدت حدتها .. وضراوتها ، واصبح  
تمزيق العرب .. وتفتيت قواهم بالضرب من الداخل ،  
أو بالضرب من الخارج ، هدفا - لدى الكبار - يتقدم  
كل الاهداف ، ويعلو على كل الاهداف .. وما يحدث في  
لبنان ، حتى هذه الساعة ، ليس سوى حلقة في  
السلسلة ، فاذا ما فشلت هذه « الحلقة » .. فان  
« السلسلة » سيظل بها حلقات كثيرة .. كثيرة !!

فان نحن افلتنا ، اليوم ، من ذلك « الفخ » الذي  
نصبوه لنا في لبنان ، فلا شيء يمنع من اعادة نصبه مرة  
ثانية ، وثالثة .. ربما في دمشق ، وربما في بغداد ،  
وربما في القاهرة ، وربما في الخليج العربي ... فأرض  
العرب ، جميعها ، صالحة - من وجهة نظر أولئك  
« الكبار » - لنصب « الفخاخ » بها في أية لحظة ..  
وفي كل لحظة .!

ومع اننا - نحن العرب - لسنا اغبياء . ومع اننا ،  
على العكس من هذا ، مشهود لنا بالفطنة ، وبالذكاء ..  
الا اننا - وعلى الرغم من كل ذكائنا ، ومن كل فطنتنا -  
جاهزون ، دائما ، لمساعدة التآمرين على تحقيق كل  
ما يريدونه لنا ، وكل ما يريدونه بنا !!

فهل آن الاوان لنا - نحن العرب - لكي نصحو ؟  
هل آن الاوان لكي نتفهم حقيقة المؤامرة ، وطبيعة

### المؤامرة واهداف المؤامرة ؟

هل آن الاوان لكي نفهم أن « لبنان » لايمكن أن يكون  
هو المطلوب . انما المطلوب انما هو نحن .. نحن جميعا ..  
من أقصى الشرق الى أقصى الغرب .. من الخليج الى  
المحيط ؟ !!

هل آن الاوان لكي نفهم هذا .. أم اننا سنظل ، العمر  
كله ، هكذا .. لا تكاد نخرج من « فنح » .. الا لسكى  
نسقط في « فنح جديد » ؟ !

## ياويل دمشق...!!

برغم مضي أكثر من ثلاثين سنة على انتهاء الحرب العالمية الثانية .. وبرغم اختلاف الدين ، واللغة ، والجنس ، والعقائد بين رفقاء السلاح في تلك الحرب . فان روسيا - حتى الآن - لم تحارب أمريكا .. ولا أمريكا حاربت روسيا .. وكذلك فرنسا لم تحارب إنجلترا .. والعكس صحيح .. اما رفقاء السلاح في « حرب أكتوبر » فانهم لم يستطيعوا الصبر على أنفسهم أكثر من سنوات ثلاث !! بعدها .. شهبوا السلاح في وجه بعضهم البعض ، وحركوا المدافع ضد بعضهم البعض ، وأسألوا: الذماء - بحورا - من أجساد بعضهم البعض !! لقد رافقت أذنائى - ولفترة طويلة - أن يصدق المذيع وهو يستهل نشرة الاخبار بخبر يصعب تصديقه .. بل مستحيل تصديقه . وكان الخبر يقول : « لاتزال قوات التحالف الوطنى اللبنانى الفلسطينى ، مشتبكة فى قتال ضار مع القوات السورية الزاحفة على لبنان » !! ولكن مالم ارد تصديقه ، كان « حقيقة » .. أليمة ، نعم .. محطمة للنفس ، وللروح ، وللمشاعر .. نعم ، ولكنها « حقيقة » .. ولا سبيل ، مطلقا ، لتكذيب السمع ازاءها . !!

ولكن ، كيف .. ؟!

كيف رضيت « دمشق الاسد » لنفسها ، وعلى نفسها ، أن تفعل بالمقاومة الفلسطينية مالم تنجح « تل أبيب

جولداناثير .. وموشى ديان « أن تفعله بها ؟ ولحساب  
من .. ولمصلحة من .. تفعل « دمشق الاسد » كل هذا  
الذى تفعله !!

الحساب لبنان ؟ ..

أبدا .

الحساب القضية العربية كلها ؟ ..

مستحيل .

الحساب سوريا نفسها ؟ ..

مستحيل كذلك ..

اذن .. لحساب من .. ومن الذى يمكن أن يستفيد  
من ذبح المقاومة .. وتدمير قواها .. وابادة رجالها ؟!

صاحب المصلحة معروف .. والمستفيد معروف ..  
واذا لم تكن « دمشق الاسد » ضالعة - بصورة أو بأخرى  
- مع هذا المستفيد ، فهى - فى اقل القليل - قد رضيت  
لنفسها وعلى نفسها ، أن تقوم بدور « مخلب القط » فى  
هذه المأساة العربية التى لا تشبهها مأساة غير مأساة  
« أيلول الاسود » .

وياويل « دمشق الاسد » مما سوف يكتبه التاريخ  
عنها .

## لعبة الأمم ...!!

عندما كتب « مايلز كوبلاند » ، فى سنة ١٩٦٧ ، كتابه الشهير جدا : « والخطر جدا : لعبة الامم » .. كان « اللاعب » ، فى ذلك الوقت ، واحدا .. وكان « اللاعب » أيضا واحدا .. كان « اللاعب » ... هو « الساحة » التى تقع عليها - طولا وعرضا - « امم الشرق الاوسط » .. وكان « اللاعب » هو أمريكا !! . ومنذ اليوم الذى كتب فيه « كوبلاند » كتابه ذاك ، اتسعت دائرة « اللعبة » .. وتكاثر عدد « اللاعبين » .. وتزايدت وبصورة مخيفة - عدد « اللاعبين » . فحيثما وجهت نظرك اليوم .. فانك ، حتما ، سوف ترى وتحس ، ان هناك « لعبة » .. وان هناك « لاعبين » .. وان الامر لم يعد مقصورا على أمريكا .. تلعب وحدها ، وتعبث وحدها وتفسد وحدها !! وانما كل « الامم » - الكبرى منها .. والصغرى على السواء - أصبحت موجودة فى قلب « اللعبة » فى انجولا - على سبيل المثال - كانت أمريكا موجودة ، وكان الاتحاد السوفيتى موجودا . وكسانت كوبا - أيضا - موجودة !! وفى لبنان - أيضا على سبيل المثال - كانت أمريكا وماتزال ، موجودة .. وكسان الاتحاد السوفيتى ، وماتزال ، موجودا ، وكانت فرنسا ، وماتزال ، موجودة ، وكانت سوريا ، وماتزال ، موجودة . وحتى ليبيا كانت - أيضا - وماتزال موجودة !!

وفى الخليج العربى .. يكاد جميع من ذكرت ، ومن

لم اذكر ، ان يكونوا موجودين . « فاللعيب » هنا ، واسع جدا .. وغنى جدا .. ولهذا السبب .. وذلك . لابد ان تكون « اللعبة » لذيذة جدا .. ومغرية جدا !

المهم .. والمحير .. والمثير ، حقيقة ، هو ان « الامم » التى يتخذها « اللاعبون » - الكبار والصغار - مسرحا .. يمارسون من فوق خشبته ، لعبتهم المثيرة .. والخطيرة .. لا تريد ان تشعر ، ولا ان تحس بما يجرى لها ، ولا بما يجرى معها .. وكأنها - جميعا - قد نومت مغناطيسيا .. او كان « اللاعبون » - صغارا .. وكبارا - يحقنونها بنوع خاص من « المخدر » يسلبها الاحساس والسمع والبصر !!

والى ان تحس هذه الامم .. وتسمع .. وترى .. فان « اللعبة » الخطرة ستظل مستمرة .. وسيظل « اللاعبون » يتزايدون . وسيظل عدد « الملاعب » يتكاثر .. وبدلا من ان يكون فى « المكتبة العالمية » .. كتاب واحد .. اسمه : « لعبة الامم » .. سوف يصبح فى هذه المكتبة عشرات الكتب ، ان لم يكن مئات الكتب التى سوف تحمل جميعها اسما واحدا هو : « لعبة الامم » .. التى لا تريد ان تحس ، ولا ان ترى ، ولا ان تسمع !!

## لبنان .. فقد عقله !!

لو أن إسرائيل شنت على لبنان حرباً كاملة شاملة ، لما كان ممكناً أن تحدث به من الخراب ومن الدمار ، أكثر مما أحدثه به أبناءه .! فلقد أكلت النيران « بيروت » عن آخرها . . وأصبحت المدينة التي كانت واحدة من أكثر عواصم العالم العربي تألقاً ، ونشاطاً ، وازدهاراً - أصبحت خراباً ، وأطلالاً ، ومزيجاً مروعاً من النار ، والدم ، والدمار .!

ولقد أوضحت المأساة المتفجرة بالدماء ، وبأشلاء الضحايا ، والتي اتخذت من كل ركن في لبنان مسرحاً تتحرك فوقه بكل العنف ، والجنون ، واللابالاة - أوضحت أن الزعماء المسلمين قد فقدوا - وبالكامل - سيطرتهم على « الشارع المسلم » كما أوضحت أن الزعماء المسيحيين قد فقدوا - وبالكامل أيضاً - سيطرتهم على « الشارع المسيحي » . . وأنها لكارثة فادحة أن يكون هؤلاء الزعماء . . وأولئك . . قد فقدوا سيطرتهم على شوارعهم . وهي كارثة أشد فداحة أن تكون المأساة التي تتفجر بالدماء ، وبأشلاء الضحايا ، والتي تتحرك كالافعى فى كل ركن من أركان لبنان ، تتم بتوجيههم . . أو برضايتهم . . أو حتى بسكوتهم الذى لا يختلف فى شيء ، عن رضائهم !!

ومصيبة المصائب فيما جرى فى لبنان ، أن أحدا لا يكاد يعرف ماذا يريد الفرقاء المتقاتلون بالضبط . فمن

المستحيل أن يتصور أحد أن المسلمين يريدون لبنان خالصا لهم . كذلك من المستحيل أن يتصور أحد أن المسيحيين يريدون لبنان خالصا لهم . إذ أن لبنان لن يخلص لأى من الفريقين .. حتى ولو ظلا ، الى آخر العمر يتقاتلان .

لقد كان لبنان - ويتحتم أن يظل - نموذجا فريدا لتعايش الطوائف المتباينة من أبنائه .. وهو لم يتألق ، ولم يزدهر ، الا نتيجة لهذا التعايش .. وبسببه .. وأنه للجنون بعينه أن تظن طائفة من طوائف لبنان أنها قادرة على إبادة الأخرى . فذلك مستحيل استحالة تحرك جبال لبنان من مواضعها !.

فهلبقى عند الشارع فى لبنان ، بقية من عقل تجعله يدرك هذه الحقيقة ؟.

وهل بقيت عند زعماء الشارع فى لبنان بقية من قوة ، أو من سيطرة ، أو من نفوذ ، تجعلهم يستطيعون افناع شوارعهم بهذه الحقيقة ؟.

الا ليتهم يستطيعون .. قبل أن يتسرب من أيديهم كل شيء ، ولا يبقى لهم من لبنان المتألق ، المزدهر ، الا مجرد رماد تذرره الرياح !!



## السم .. فى الدسم !!

يبدو أن محاولة شق الصف العربى ، ستظل هدفا أساسيا لعديد من الصحف الغربية عامة ، والانجليزية على وجه الخصوص . أنها لم تسأم من ذلك ، ولا تمل ، ولا يتسرب اليها اليأس . ومن هنا - وتمشيا مع خطتها ، ومحاولة لتابعة اهدافها - لم تكف تتأكد من ان « الفيسل » .. العظيم .. قد غاب عن مسرح الاحداث ، حتى راحت تمشى بالوقية - وعلى طريقة : « السم فى الدسم » - بين الاخ وأخيه . فمضت تصف الأمير فهد .. ولى عهد السعودية الجديدة .. بأنه « الرجل القوى » فى هيئة السلطة الجديدة . وبينما أخذت هذه الصحف تردد هذه النغمة - صراحة - بالنسبة للأمير فهد .. فإنها لم تتردد فى أن « تلمح » الى أن العاهل السعودى الجديد .. الملك خالد .. ليس له من « القوة » لولى هذه : الأمير فهد .. وكأنما القضية الساخنة التى فرضت نفسها على المسرح العالمى - بعد غياب « الفيسل » - هى قضية القوة .. والضعف ، وليست قضية سياسة السعودية - بعد « الفيسل » - بتروليا .. وعربيا .. ودوليا .

ومع أن هؤلاء الذى يحاولون ان يمشوا بالوقية بين الاخ وأخيه ، عن طريق المفاضلة والمقارنة ، يعلمون جيدا أن قوة العربية السعودية لم تتحقق ، أساسا ، إلا من خلال تلاحم الاسرة الحاكمة فيها .. ومع أنهم يدركون

أن كل فرد فى هذه الاسرة المتلاحمة ، والقوية بتلاحمها ،  
يدرك تماما السر الحقيقى وراء قوة أسرته .. الا أنهم  
- مع ذلك - يحاولون .. وما المانع ؟! فقد تجدى  
المحاولة .. وينشق الصف .. وتتبدد القوة !.

لكن المؤكد أن المحاولة لن تجدى .. فلسوف يظل  
« الفصيل » .. العظيم - حتى بعد غيابه - يسحب ظلاله  
على أخوته . يسحبها عليهم قوة ، ويسحبها عليهم ترابطا  
ويسحبها عليهم تلاحمالن ينفذ من خلاله دس أولئك  
الدسائسين من غربان « الامبراطورية » التى غابت عنها  
الشمس .. لكى لا تعود الى شروق .

## من أجل حفنة أصوات !!

من أجل حفنة أصوات .. بدأ « جيمى كارتر »  
المرشح الديمقراطي لرئاسة الولايات المتحدة الأمريكية ،  
رحلة تقديم « القرايين » إلى يهود أمريكا بهدف الفوز  
بأصواتهم ؟!

وليس ثمة « قربان » يستطيع أى مرشح أمريكى  
تقديمه لليهود ، أحلى .. ولا أشهى .. من الدول العربية  
ومن هنا ، اختار « كارتر » أن يبدأ بها .. فقال فى واحد  
من خطباته الانتخابية « أن على أمريكا أن تفرض حصارا  
اقتصاديا ، وصناعيا على الدول العربية ، أن هى عادت  
مرة أخرى الى اشهار سلاح البترول فى وجه العالم  
الغربى » !

ونسى « كارتر » - كما نسى كثيرون غيره من قبل ..  
وكما سوف ينسى كثيرون غيره من بعد - أن الدول العربية  
لم تشهر سلاح البترول فى وجه العالم الغربى الا من  
قبيل « الدفاع عن النفس » .. كذلك نسى « كارتر » -  
كما نسى كثيرون غيره من قبل . وكما سوف ينسى كثيرون  
غيره من بعد - أن « الدفاع عن النفس » إنما هو حق  
مقدس من حقوق الانسان .. وأن هذا « الحق المقدس »  
لم يتقرر للانسان بمقتضى قانون وضعى .. وإنما هو  
حق مقرر بمقتضى قانون الهى . ففى شريعتنا السمحاء  
- وعلى الرغم من كل سماحتها - أن « العين بالعين ..  
والسن بالسن » .. وأن « لكم فى القصاص حياة » .

واذن .. فنحن حين شهرنا سلاح البترول في وجه العالم الغربي ، لم تكن نحاول أن نقتل أحدا .. فقط ، كنا نقتص لانفسنا من قاتلينا .. لم نسكن فريقا من « الكابوى » نقتل بمناسبة ، وبغير مناسبة ، كل من نلقاه على الطريق : اما عن خبل .. واما عن ضرور مجنون بقانون القوة .. واما عن مجرد مشين من جميع الخصائص التى فرق بها الله بين الانسان والحيوان !! وليقل « كادتر » كل ما يريد أن يقول . فلم يعد لمثل هذه التهديدات أن تخيفنا . فالذين يدفعون القتل عن انفسهم ، لن تعنيهم مثل هذه التهديدات فى كثير او قليل . وانما الذى يعنيهم .. والذى سوف يظل يعنيهم .. هو : أن يعيشوا بكرامة .. او ان يموتوا بشرف .

## يالفرحة اسرائيل !!

الذي يتحدث الآن ، فى الساحة العربية ، شئ اقل ما يقال فيه انه يمزق القلب .. ولا يمكن أن يكون هناك تعليق على ذلك الذى يحدث ، أدق من القول : بالفرحة اسرائيل !! ..

نعم .. يالفرحة اسرائيل . !! فأكبر اليقين أنها ماتسوف .. وما تنتظر .. وما تماطل ، الا انتظارا لهذا الذى يحدث .. انتظارا لان يتمزق الصف ، وتفتت القوة ، وتذهب الوحدة التى أذهلت الدنيا - فى حرب أكتوبر - أدراج الرياح !!

وربما كانت اسرائيل تنتظر « بعض » هذا الذى يحدث .. اما « كل » هذا الذى يحدث ، فما نطن أنها كانت تنتظره .. او تتوقعه . صحيح ان اختلافاتنا ، قبل حرب أكتوبر .. وحتى حرب أكتوبر ، كانت كبيرة .. وأيضا كانت ضاربة . لكن السرعة ، بل والقوة اللتين يجتمع بها الصف العربى فى مواجهة تلك الحرب .. كانت تنبئ بأننا تجاوزنا خلافاتنا ، وأنا تعلمنا الدرس ، وأنا وضعنا أيدينا على نقاط القوة ، والضعف فىنا . لكن الحرب ماكادت تنتهى - وهى فى الحقيقة لم تنته .. ولن تنتهى - حتى عدنا كما كنا .. عدنا يتهم بعضنا بعضا بالاستسلام ، وبالتفريط ، بل وبالخيانة !!

ثم .. ثم ماذا ؟

ثم أندلعت النيران !! ..

\* أطلقت بغداد على دمشق صواريخ اعلامية قاتلة ..  
وبادلتها دمشق صواريخاً بصواريخ . !!  
\* وفي القاهرة . بدأ الرئيس السادات يرد على  
النيران التي فتحتها عليه .. وعلى مصر .. العقيد  
القذافي ..

\* وفي بيروت .. اطلت ، براسها ، فتنة سوداء لن  
تبقى - فيما لو لم تواد في المهد - ولن تدر !  
ان تطويق هذا الذي يجري في الساحة العربية الان ،  
امانة في اعناق القادة العرب الذين لم تمسسهم النار  
التي شبت بين الاخوة .. ايا كانت مواقعهم ومعتقداتهم  
.. وهم مطالبون لان يتحركوا بأقصى السرعة والقوة ،  
قبل ان تتحول هذه النيران الى شيء يستحيل تطويقه .  
ان الموقف صعب .. والخطر عظيم .. و .. و ..  
« فيليب » على الابواب . لا .. بل هو داخل الابواب !

## تل الزعتر !!

مثلما بقيت « ستالينجراد » رمزا انسانيا باهرا  
على عظمة الرجال ، وبطولة الرجال ، وصمود الرجال ..  
كذلك - وبفس القدر ... والعظمة - سوف يبقى  
« تل الزعتر » . فليس ثمة فارق يذكر بين فاشسية  
« هتلر » وفاشية « نيمو شمعون » ، وكتائب الجميل ..  
ايضا ، ليس ثمة فارق يذكر بين بطولة ، وصمود الرجال  
من أبناء تلك المدينة الروسية الباسلة التي دخلت التاريخ  
من أوسع أبوابه ، وبين بطولة وصمود الرجال من أبناء  
« مخيم تل الزعتر » الذي دخل هو الآخر التاريخ من  
أوسع أبوابه . فلقد صمد أبناء « ستالينجراد » ثلاثة  
أشهر كاملة للنيران تنهال عليهم كالطر من السماء ،  
وكالبراكين من باطن الأرض .. وكذلك صمد الأبطال  
من أبناء « تل الزعتر » .

أربعة وخمسون يوما مرت عليهم وهم ، كالعجائال ،  
صامدون .. تتكسر على صخرة مقاومتهم الباسلة الهجمة  
بعد الهجمة .. والغارة بعد الغارة .. ويتفتت السلاح  
بعد السلاح !!. استشهد كثيرون ، وجرح كثيرون ،  
ومات بفعل الظمأ ، وبفعل نزيف الدم ، كثيرون .. كل  
ذلك ، والمخيم صامد .. يقاوم ولا يستسلم ، يشمخ  
براسه ولا يركع ، ينزف الدم ويموت واقفا !!.  
مثال لن يفنيه الزمن لعظمة الرجال ، وصمود

الرجال ، وبطولة الرجال . فلما ان نفذ من « المخيم  
البطل » كل شيء : السلاح ، والطعام ، والماء ، والدم ..  
استطاع الفاشيون الجدد .. « نمور شمعون » ..  
و « كتائب الجميل » .. ان يدخلوه ولكن .. بعد  
ماذا ؟!

بعد ان دفعوا الثمن فادحا .. بعد ان قتل منهم  
« المخيم » آلاف « الكلاب » .. وبعد ان ترك منهم آلاف  
آخرين لاهم بالموتى ، ولاهم بالاحياء .. وبعد ان حملهم  
عارا لن تستطيع مياه المحيط ، والخليج ، ان تغسله  
عن ذنوبهم !!

وبقدر « العار » الذى سيظل - والى ابد الابد -  
يلحق « نمور شمعون » و « كتائب الجميل » ، سوف  
يكون « الشرف » .. وسوف يكون « المجد » اللذان  
سيظل اسم « تل الزعتر » - والى ابد الابد - يسكبهما  
فى مسمع الدنيا .

ان « تل الزعتر » لم يستطع .. فقط ، نفذت من بين  
أيدي ابطاله كل مقومات الاستمرار : السلاح . والطعام  
والماء ، والدم . ومن ثم ، اقتحم « الكلاب » الابواب ،  
ولكن .. ليس هناك ثمة مجد ارفع .. ولا اروع .. من  
ذلك المجد الذى يكلل رؤوس رجال يموتون .. وهم  
وقوف .



## لبنان والمصير الأسود !

الحريق فى لبنان ما يزال مشتعلًا .. وانهار الدم هناك ما تزال تنفجر من أجساد أشقاء الجبل الاخضر بأيدى بعضهم البعض ، وبرصاص بعضهم البعض . ولا أحد قادر - حتى الآن - على اطفاء الحريق ، ولا أحد قادر - حتى الآن - على إيقاف انهيار الدم . وبدلاً من أن يعمل الجميع - العرب جميعاً - على إنقاذ لبنان من المصير الاسود الذى تكاد كل المؤشرات تجمع على أنه ينتظر اليه فى سرعة مبروعة - بدلاً من أن يحدث ذلك ، راح أشقاء عرب آخرون يتهاون ، فى المغرب العربى للانقضاض على بعضهم البعض .. ولقتل بعضهم البعض !!

ولقد اختار الاشقاء العرب أن يحدث هذا الاقتتال فيما بينهم ، فى الوقت الذى ما يزال فيه العدو الحقيقى للعرب جميعاً - من المحيط الى الخليج - كامناً بين جلودنا وعظامنا .. فائز خزي هذا الذى تلحقه الزعمامات العربية بكل انسان عربى .. فى كل مكان من أرض العرب !؟

ليس فى مقدور واحد من هؤلاء القادة العرب الذين اخذوا يتهاون وقتل بعضهم البعض ، أن يفتنوا الى أن كل رصاصة .. واية رصاصة .. تقبلق فى اتجاه صدر أى انسان عربى ، أولى بها صدر آخر .. صدر عدو حقيقى يحمل من العداوة للعرب ، ومن كراحتهم ،

ومن التربص بهم ، والحقده عليهم .. ما لن تكفى فى  
غسله مياه المحيط ، والخليج !!؟

انه امر من البدهة بحيث ماكان يجب ان يغيب عن  
فطنة واحد من هؤلاء الزعماء .. وفيهم الاذكاء جدا ..  
» وفيهم الجريون جدا .. وفيهم من يستحيل القول  
بانه لا يعرف الى صدر من - على وجه التحديد - ينبغي  
ان يسدد الرصاص !!

ثم

الى متى ستظل هذه الزعامات راضية بان ينظر العالم  
الينا ، فلا يجد فى كل مايصدر عنا .. ويحدث منا ..  
الا كل مايشير ضحكه ، وسخريته ، وايضا هزؤه !!؟

نعم .. الى متى !!؟

تكسات واصابتنا .. هزائم ولحقت بنا .. ارض  
وضاعت منا . كرامة ولحق بها ذات يوم - ليس ببعيد  
ابدا عن ذاكرة الجميع - هوان ليس بعده هوان !!؟  
فاى شىء اكبر من ذلك تريده هذه الزعامات ان يحدث  
.. لكى تتوازن ، وتتمقل ، وتذكر اننا نتولى - نيابة عن  
اعدائنا - تدمير قوانا ، وتمزيق صفوفنا ، وكاننا موكلون  
من الشيطان بتخريب ديارنا ، وتحويلها الى اطلال تنمى  
من بناها ..

ثم ...

ياشعوب العرب جميعا .. اين انتم !!؟

اين انتم لكى توقفوا كل هذه المآسى التى تجرى ..  
ولكى تقولوا لهذه الزعامات : كفى .. !!؟

## سبحان الله !!

سبحان الله .. !!

ان حتما أن يقع على ارض « لبنان » كل ذلك الذي ،  
لكي يحدث هذا الذي حدث في « قمة الرياض » ؟  
ان حتما أن نفرق في « حمامات الدم » حتى أذاننا ،  
يحدث هذا الذي حدث .. !!

ان حتما أن يستشهد منا الالاف ، ويتيمم الالاف ،  
مل الالاف ، لكي يحدث هذا الذي حدث .. !!  
ان حتما أن يعم الدمار « لبنان » ويصبح الخراب  
« سيد الموقف » هناك ، لكي يحدث هذا الذي  
.. !!

ان حتما أن تتطأ « الوحدة العربية » شظايا ،  
يتخذنا العالمين هزوا ، لكي يحدث هذا الذي  
.. !!

ان حتما أن تنفتت قوى « الثورة الفلسطينية » ،  
تفقد من رجالها ما فقدت ، وان يتبدد من سلاحها  
د ، لكي يحدث هذا الذي حدث .. !!

حدوث ما حدث في « قمة الرياض » ، اليوم ،  
له من معنى الا انه كان ممكنا أن يحدث من قبل ..  
قبل ان يعم الخراب ، ويسود الدمار ، ويذهب  
، والسلاح ، والرجال .. هباء منثورا !  
لماذا سكتنا حتى هذه اللحظة .. !!

لماذا سكتنا حتى أصبح عدد البيوت المدمرة في  
أكثر - بكثير - من عدد البيوت التي بقيت قائمة  
أعوادها .. !!؟

لماذا سكتنا حتى أصبح عدد الشهداء من جميع  
الاطراف المتقاتلة ، أكثر - بكثير - من عدد الأحياء  
كل هذه الاطراف .. ؟

لماذا سكتنا حتى أصبح ذكرنا - نحن العرب  
لا يحرك عند « الآخرين » غير الشجاعة .. والهزم  
والسخرية .. ؟

لقد سكتنا ، للأسف الاليم ، وسكتنا .. وسكتنا  
لكننا دفعنا ثمن هذا « السكوت » أغلى ما يكون الثمن  
دفعناه آلاف من الشهداء ، وأطنانا من السلاح ، وجه  
من الاموال التي ماكان أحرأها ان تصرف في « بحر  
الاخوة والمحبة » .. وليس في « بحر البغضاء » والعد  
والكراهية » .. !!

انهم - وانتم تعرفون من أعنى « بأنهم » - يسلط  
على أنفسنا ..

يستخدموننا ضد بعضنا البعض . يضعون أيديهم  
فوق الزناد ، ويتركوننا نطلق الرصاص على صدورنا  
ولكن ...

لماذا .. ؟

لماذا نكون نحن من السذاجة أحيانا .. ومن الد  
أحيانا .. ومن الجنون دائما .. فنتركهم يفعلون  
ما يريدون أن يفعلوا .. !!؟  
ثم ..

لماذا لا يتحرك « الراشدون » منا ، مثلما تحركوا الى  
« قمة الرياض » ، ألا بعد أن تكون النار قد اكلت كل  
شيء .. والأبعد أن يكون الجسد العربي لم يبق فيه من  
الدم ما يمكن أن ينزفه .. والأبعد أن تكون الكرامة  
العربية .. والسمعة العربية .. وحتى الانتصارات  
العربية - قد ذهبت اثراً بعد عين !!؟

انا لا أعرف الجواب .. فهل يعرفه أحد منكم ؟

# عن : الصحافة .. والصحفيين



## الحرية التزام !!

تمرضت الصحافة المصرية .. وتمرض الصحفيون المصريون - أكثرهم على الأقل - لقدرك كبير من اللوم ، ليس هناك من شك في أنها تستحقه ، ولا في أنهم يستحقونه .

صحيح أنهم مارسوا « الحرية » بعد سنين طويلة جدا من « الكبت » . لكن الصحيح أيضا أن « رد الفعل » لم يكن معقولا ، ولا مقبولا . !! فمحاولة إلغاء عشرين سنة كاملة من تاريخ مصر ، إلغاء شباملا كاملا .. شيء مستحيل أن يكون معقولا ، أو مقبولا . ومحاولة إظهار مصر بأنها قد تحولت - خلال تلك السنوات العشرين - إلى مجموعة من الخرائب لا ينقصها إلا « اليوم » ينقض على أطلالها .. شيء مستحيل كذلك أن يكون معقولا أو مقبولا ! لقد وجدها البعض فرصة متاحة لينفسوا - تحت ستار الحرية الصحفية التي أتاحت لهم - عن أحقاد شخصية دقيقة .. قديمة ، وجديدة .. وتقمص جميعهم شخصية « دون كيشوت » .. وشرعوا أسلحتهم .. ومضوا يقاتلون « طواحين الهواء » !!

ولا أحد ينكر أن ثورة ٢٣ يوليو ، وإن « عبد الناصر » - شخصا - قد خلفا وراءها جرحى كثيرين . وربما أكون أنا نفسي واحدا من هؤلاء الجرحى الذي خلفهم « عبد الناصر » وراءه .. وربما يكون جرحي أعمق بكثير من جراح قيرى .. لأننى - على الأقل - كنت



صديقه .. وكان بيننا - ولستين عديده - «عيش وملح» .  
لكن التالم من الجراح شيء .. وملاحقة الرجل ونورته  
.. بالشتائم وبالسخائم .. وبتجريده من كل موافقه ،  
ومن كل أمجاده .. شيء آخر تماما .

ليس هناك - بالتأكيد - ما هو أغلى من الحرية ..  
شريطة أن تمارس بانضباط ، وبمسئولية ، وقبل كل  
ذلك . بشرف . أما اذا تجردنا ، فى ممارسة الحرية ،  
من كل هذه الضوابط .. فان الامر يتجاوز حدود  
الحرية ، ويتحول الى فوضى لا يستطيع أحد أن يصبر  
عليها ..

ليت القيادات الجديدة فى الصحافة المصرية ،  
تدرك هذه الحقيقة وتلزم نفسها بها .. حتى لا تصحوا  
يوما فتجد نفسها وقد خسرت أغلى ما يمكن أن تنتعش ،  
من خلاله ، صحيفة .. وأغلى ما يمكن أن يتنفس ، من  
خلاله ، قلم .

## أجمل من الحقيقة .. الالتزام بها !!

في الصحافة .. كما في الإذاعة .. كما في كل وسائل الإعلام - هناك كثيرون محتاجون ، وبشدة ، لأن يتعلموا الموضوعية .. ولأن يلتزموا « الحقيقة » - لا يتجاوزونها - في كل حرف يكتبونه . وفي كل كلمة يقولونها . وإذا نحن - صحفيون .. واذاعيون - أدخلنا في اعتبارنا ، عندما نكتب .. أو نتكلم ، أن للناس عقولا تعى .. واذانا تسمع .. وعيوننا تبصر ، وأنهم ليسوا من الغفلة .. ولا من السذاجة . بحيث يجوز عليهم كل ما نكتب ، أو نقول .. لو فرنا على أنفسنا كثيرا من ذلك « التعب » الذي نبذله في سبيل تزييف الأشياء ، أو تضخيمها ، أو خلقها - خلقا - حيث لا يكون له ثمة وجود إلا في خيالنا !

وليس هناك ، في رأيي ، ما هو أخطر علينا - صحفيين .. واذاعيين - ولا ادعى لفقدان احترام الجماهير لنا ، من تزييف الأشياء أو تضخيمها .. ذلك لأنه إذا فقد الناس ثقتهم بنا في حالة ما .. أو في موقف ما .. فإنهم لابد وان يفقدوا الثقة بنا في كل الحالات ، وفي كل المواقف ، بما فيها المواقف التي « قد » نلتزم فيها جانب الدقة في تقديم « الحقيقة » بلا تزييف ، ولا تضخيم ، ولا خلق من عدم .

ان الحقيقة جميلة .. ولكن - أجمل منها ، ولا شك ،

التزام. منتهى الصدق فى تقديمها ، صحيح ان الطريق الى ذلك صعب .. ولكن أسهل الطرق ليس هو دائما أسلمها ، ولا أجلبها للاحترام .. احترامنا لانفسنا ، واحترام الآخرين لنا . واننا لنستطيع ان نخدع بعض الناس كل الوقت .. كما اننا نستطيع ان نخدع كل الناس بعض الوقت .. لكن المؤكد اننا لن نستطيع ان نخدع كل الناس .. كل الوقت

وتلك هى « الحقيقة الكبرى » التى يتحتم علينا بـ صنفين .. وأذاعين — ان نضعها تحت عيوننا .. كلما وسوس لنا الشيطان ، او وسوست لنا انفسنا، ان نزيف .. او نضخم .. او نحدث الناس عن أشياء لا وجود لها الا فى خيالنا !!

## الأقزام .. لا يحس بهم أحد !!

فى سنة ١٩٤٤ عندما عاد رجل فرنسا العظيم « شارل ديغول » الى باريس منتصرا ، بعد خمس سنوات من الهزيمة المرة - كان من أول الأشياء التى طلبها « ان تكون لفرنسا صحيفة عظيمة » .. فكانت « صحيفة لوند » .

واليوم .. تدور فى باريس ، وفى عواصم أوروبا الغربية كلها ، معركة بالغة العنف ، حول « لوند » .. بعد أن أصدر واحد من محرريها السابقين البارزين كتابا عنها ، اتهمها فيه بالانحياز للعرب .. وباللاموضوعية ، وبالتعاطف مع « اليسار الفرنسى » .. وقبر الفرنسى ايضا !

وانقسم الناس داخل فرنسا .. وفى خارجها .. حول ماجاء فى كتاب محور « لوند » السابق : فريق معه ، وفريق ضده . فريق يقول أنه على حق . وفريق يقول أنه يتجنى . و « لوند » نفسها تقول أنه « كذاب » .. وتزداد المعركة سخونة !

وأيا ماكانت نتيجة هذه المعركة .. فالشئ المؤكد ان « لوند » - كما قد عاشت قبلها - فإنها سوف تعيش بعدها . صحيح أنها قد تتأثر ، وقد ينالها بعض الشرر المتطاير من هنا أو من هناك . لكنها سوف تبقى .. تماما كما تبقى الشجرة الشامخة .. العميقة الجذور .. بعد ليلة عاصفة ، فالليل ، هنا ، يموت .. والعاصفة

ايضا تموت .. وتبقى الشجرة .. ويبقى شموخها .  
وليس هناك دليل على عظمة « لوندا » اكبر من ان  
يصدر حولها مثل ذلك الكتاب .. وان تثور حولها مثل  
هذه العاصفة . فالاقزام لا يحس بهم أحد ، ولا يتناول  
عليهم أحد .. لانهم - بطبيعتهم - ليس لهم طول ، ومن  
ثم .. فلا مجال للتناول !!

لقد ثارت عواصف مشابهة ، تماما ، لهذه التي ثارت  
ضد « لوندا » .. ضد الرجل العظيم الذي تمنى ذات يوم  
من سنة ١٩٤٤ ، أن تكون لفرنسا صحيفة عظيمة ..  
ومع ذلك ، لم تستطع هذه العواصف الهوجاء التي ثارت  
ضد « شارل ديغول » ان تنال منه شيئا .. وكما يتهمون  
« لوندا » اليوم باللاموضوعية .. وبالانحياز .. وبأشياء  
أخرى كثيرة ، فقد اتهموا « ديغول » بالديكتاتورية ،  
وبعبادة الذات ، وبالاستعلاء على كل شخص ، وعلى كل  
شيء .. حتى على فرنسا نفسها !! . لكن هذه الاتهامات  
جميعها مالبثت حتى ماتت . لانها كانت تحمل ، في ذاتها  
بذور موتها .. وعاش « شارل ديغول » .. وسيظل  
يعيش .. على الرغم من الحقيقة التي تؤكد انه قد  
مات !

أشرفهم - وهو أحمد بهاء الدين - إلا أن كفساء  
 « بهاء الدين » ، وشرفه ، لم ينجحاً في أن يفتيا على  
 « رائحة الحكومة » التي كانت تفوح من خلال صفحات  
 جريدة « الشعب » . ومن ثم ، ماتت الصحيفة قبيل أن  
 تحتفل « بالربيع الأول » من عمرها . !

إلا ليت الذين تأخذهم العزة بأموال الحكومات  
 وبسلطان الحكومات ، وبقدرة الحكومات على شراء آخر  
 صنيحات « المطابع » وآخر صنيحات « الورق المصقول » ،  
 وآخر صنيحات « الكتاب » . . و « أشباه الكتاب »  
 الذين يبيعون أنفسهم في « سوق النخاسة » - ليتهم  
 يفهمون هذه الحقيقة البسيطة جداً . . والأولية جداً . .  
 والتي تؤكد أن « الصحافة الحقة » إنما هي اتجاه ،  
 ورأى ، وموقف . وأنه لمستحيل استحالة دخول الجمل  
 في سم الخياط ، أن يكون لصحيفة تصنعها حكومة  
 . . اتجاه ، أو رأى ، أو موقف .

صحافة : اتجاه .. ورأى .. وموقف ..!!

لق صحافة تصفق .. تهلل .. تردد ، بمناسبة  
 بغير مناسبة : « يعيش .. يعيش .. يعيش » ،  
 يس هناك ما هو اسهل منه . لكن هذه يمكن ان تكون  
 شيء » ، الا أنها صحافة : ذلك لان الصحافة الحققة  
 هى اتجاه ، ورأى ، وموقف . ومن هنا ، فانه مهما  
 ، الحكومات .. ومهما أصدرت من صحف ملونة  
 ة ألوان ، أو حتى بعشرة ألوان .. ومهما اشترت من  
 ، وأشباه كتاب .. فانها لن تستطيع ، فى نهاية  
 ، ان تصنع صحيفة يقرؤها الناس .. لانه يكفى  
 ، فى رأى الناس ، ان تصدر الصحيفة عن جهة  
 بية ما .. أو عن هيئة حكومية ما .. لكى يختصمها  
 لناس ، ولا يقرؤها أحد .. اللهم - طبعا - إلا الذين  
 روا !!

لقد ولدت جريدة «الجمهورية» المصرية ، وهى تعاني -  
 نفس لحظة الميلاد - سكرات الموت ، لا لسبب ، الا  
 الناس كانوا يعرفون انها « جريدة الحكومة » ..  
 : فى ثورة ٢٣ يوليو . ولقد سبقت جريدة  
 جمهورية « الى الموت صحف كثيرة كانت ثورة يوليو  
 نشأتها . فماتت مجلة « التحرير » .. وماتت مجلة  
 « الوطن » .. وماتت جريدة يومية أخرى ، كان  
 ما « الشعب » . !! ومع أن الجريدة الاخيرة ، كان  
 ، تحريرها واحد من اكفأ الصحفيين العرب .. ومن

## تقاليد صحفية !!

صديق مشغول بأمور الصحافة سألني :

— ألا ترى أنه من المهم إذا نقلت صحيفة عربية عن صحيفة عالمية موضوعا ما ، أن تذكر اسم الصحيفة التي نقلت عنها ؟ .

— ذلك جائز ، ولكنه ليس حتميا . وفرق كبير بين ماهو جائز وماهو حتمى .

— لكننى أتصور ان التقاليد الصحفية تحتم ذلك .

— لو أن ذلك حتمى ، كما تقول ، لالتزمته صحف كبرى فى الشرق وفى الغرب ، ولكن هذا لا يحدث وعندى أكثر من مثل أستطيع ان أسوقه لك .

— ولكن صحفا كثيرة تفعله .

— هذا صحيح . غير ان صحفا كثيرة أخرى لاتفعله وربما يكون المسئولون عن الصحف التى لا تفعله اكم عراقة فى خدمة الصحافة ، وفى العلم بأصولها وتقاليد من المسئولين عن الصحف التى تفعله . انهما — لم التحليل الاخير — قضية منهاج شخصى يختلف من صحف الى آخر ، وليست قضية تقاليد تفرض نفسها على الجميع . . والصحافة ، كما تعلم ، مهنة بحورها واسعة ودروبها متعددة . فما تجيزه صحيفة « الديلى ميرور » البريطانية لنفسها ، مثلا ، لايمكن أن تقبل به . صحفا « التايمز » . وهى بريطانية أيضا . وماتجيزه — /



لآخر - صحيفة « فرانس ديمانش » الفرنسية  
 بها ، ترفضه رفضا مطلقا صحيفة « الموند » . وهى  
 نسبة كذلك . وربما نستطيع من خلال هذين المثليين .  
 نغيرهما - وهو كثير - ان نقول ان هناك « تقاليد »  
 بها كل صحيفة لنفسها . لكننا لا نستطيع القول ان  
 ان « تقاليد » واحدة .. او موحدة .. تفرض نفسها  
 كل الصحف ، وعلى كل الصحفيين . فهناك  
 حيفة تعتمد « الموضوعية الصارمة » خطأ لها . وهناك  
 رى تعتمد « الاثارة الفجة » خطأ آخر .. وهذا  
 تقليد » . وذلك « تقليد » .. ولكن أيا من التقليدين  
 من الا مجرد اختيار شخصى من يجائب المسئولين عن  
 الصحيفة ، أو تلك . الشيء الوحيد الذى لا يجوز  
 مطلقا - ان يكون محل اختيار شخصى ، هو الدين  
 وهو الاخلاق .. وهو أمن ومقدسات المجتمع الذى  
 ندر فيه الصحيفة . وفيما خلا هنا الركائز الاساسية  
 ربع التى يحتم على كل صحفى ، وكل صحيفة ،  
 تزامها .. بل وتقديسها .. فالصحافة حرة فى ان  
 بل مانشاء .. ولكل صحيفة الحق المطلق فى أن تختار  
 سبها الدرب الذى تسلكه ، دون ان يكون لاحد - غير  
 أنون - سلطان عليها .

## الخير .. ليس خيرا !

### مستحيل ..

مستحيل فى مهنتنا ان يعترف الفاشلون ، او القاصرون ، بفشلهم او بقصورهم . بل لابد لهم من « شماعة » يعلقون عليها مسئولية هذا الفشل ، وذلك القصور . فاذا كانت « الادارة » حازمة ، ومنضبطة مع نفسها - قبل ان تكون منضبطة مع الآخرين - وتدير امورها وفق ايمان عنيـد بالاستـتقامة ، وبالامانة ، وبالشرف .. فهم ، اذن - ومن وجهة نظـر هؤلاء الفاشلين او القاصرين - ادارة ديكتاتورية .. ومستبدة .. وظالمة !! كان « العدل » هو ان نتيح الفرص لمن يشاء ، لكى يعبث ، ولكى يلعب ، ولكى ياخذ الكثير مقابل اقل القليل يقدمه ، او مقابل لا شىء على الإطلاق . فان اثبت آبيت على اولئك الفاشلين او القاصرين . ان يتخلدوك « مطية » لهذا السلوك المشين .. فانت ظالم وانت مستبد ، وانت - قبل هذا وذاك - انسان لاتعزى « الانسانية » الطريق الى قلبك !! كان « الانسانية » هى ان تسرق .. او ان ترضى ، على الاقل ، بان يسرق الآخرون !

ولان « الخير » - صحفيا - ليس خيرا .. وانما « الشر » هو الخبر ، فانك سرعان ماتجد العشرات وربما المئات ، الذين « يتبرعون » بترديد ما يشجع الفاشلون عنك ، ويلصقونه بك ، دون أدنى جهـد

يبدلونه في محاولة للتعرف على الحقيقة .. ولماذا  
يجشمون أنفسهم مثل هذا الجسد .. مادام دور  
« البغاوات » يكفيهم .. ولعله ، أيضا ، يسعدهم ،  
ويرضيهم . !!!

ولكن القضية - أولا .. وإخيرا - هي قضية علاقة  
محددة بين المرء وربه .. بين المرء وضميره . أما الناس  
فانهم نادراً ما يرضون .. بل هم مستحيل أن يرضوا  
عك ، مادمت تأبى عليهم أن يجعلوا منك « جسرا »  
يمرون عليه الى تطلعاتهم ، وشهواتهم ، ونزواتهم . !!!  
وبمقاييس مثل هذا « الصنف » من الناس ، فإن « عمر  
ابن عبد العزيز » كان ظالما .. لأنه كان عادلا . كما أن  
« عمر بن الخطاب » كان أشد ظلما .. لأنه كان أكثر عدلا  
ولعلمهم - أقصد هذا الصنف من الناس - ينسون أن  
الله نفسه - وهو أعدل العادلين - ليس ثمرة جزاء  
لديه .. الا من جنس العمل .

## المهمة المستحيلة !!

إلصحفي العربي : أى صحفى عربى - يحرص . ،  
 هذه الايام ، على « كلمة الحق » .. وعلى « شرف الكلمة »  
 انما هو كمن يقبض على الجمر .. كمن يمشي عاري  
 القدمين على أشواك كرعوس الحراب .. كمن يمتخر  
 عياب بحر رهيب بغير « بوصلة » . فما يمكن أن يرضى  
 عنه الاشقاء فى سوريا ، لابد وان يفضب - وألى حد  
 السخط - الاشقاء فى العراق . والعكس صحيح تماما  
 .. وما يمكن أن يرضى عنه الاشقاء فى كل من سوريا  
 والعراق - ان كان ذلك متاحا ، أو ممكنا - لابد وان  
 يفضب الاشقاء فى مصر .. وما يمكن أن يرضى عنه  
 الاشقاء فى المغرب ، لابد وان يستثير حفيظة الاشقاء فى  
 الجزائر . والعكس هنا صحيح أيضا . !

وهكذا .. أصبح الكاتب الحريص على « كلمة  
 الحق » .. وعلى « شرف الكلمة » كمن يسير على جبل  
 رفيع .. وسط تنيرك كبير .. يحرص على أن يقطع  
 « مشواره » بنجاح .. وينحش فى ، نفس الوقت ، أن  
 يسقط من فوق الجبل فيدق عنقه . !

مهمة صعبة .. بل هى ، بكل الضلوع ، مهمة  
 مستحيلة . ومن الممكن طبعاً الا تكون كذلك .. وهى لكى  
 لا تكون كذلك ، محتاجة الى « نوعية خاصة » ..  
 الناس .. محتاجة الى أناس « احترفوا » الكذب على  
 انفسهم .. وعلى الآخرين .. أناس اغتالوا ضمائرهم ،

بأيديهم .. ولم يترددوا في أن يواروها بتراب المصا-  
.. والابهة .. والتنقل « بطائرات خاصة » من دولة الى  
دولة .. ومن مكان الى مكان !!

ولكنهم لو علموا ماذا يقول عنهم أولئك الذين يدفعون  
لهم « ثمن كل هذه الابهة التي يتمتعون بها .. ويفرقون  
حتى الاذنين ، فيها .. وكيف ينظرون اليهم .. فربما  
- واقول « ربما » .. لان الطبع غلاب - كانوا يفضلون  
السفر من دولة الى دولة ليس « بطائرات خاصة » وانما  
مشيا على الاقدام .. تفاديا لمشاعر « الاحتقار » التي  
يحملها لهم أولئك الذين يدفعون لهم « ثمن » تلك  
« الطائرات الخاصة » التي ينتقلون بها من عاصمة تدفع  
لهم كثيرا الى عاصمة تدفع لهم اكثر .!!

يقول الدراسات الصحية العالمية : « ان الصحفيين  
هم اقصر الناس عمراً .. واكثرهم تعرضاً للذبحة الصدر  
.. وانفجارات المخ » . هذا ما تقوله الدراسات الصحية  
العالمية عن الصحفيين بشكل عام .. لكنني اعتقد ان هذه  
الدراسات لو تعمقت اكثر .. واكثر .. لاكتشفت ان  
هؤلاء الذين يدخلون مبكرين بانفجار في المخ .. او  
بذبحة في الصدر .. انما هم صحفيون من نوع خاص  
.. صحفيون « نطفاء » .. كان لديهم - بالقطع - شرف  
.. وكان في صدورهم - بالقطع - ضمير .. ولم تكن لديهم  
- بالقطع - « طائرات خاصة » !!

## كبش النداء !!

ذكرتني الاجابات التي اُجاب بها الرئيس التونسي .. الحبيب بورقيبة .. عن أسئلة الصحفيين في المؤتمر الصحفي العالمي الذي عقده الرئيس التونسي ، بمناسبة الذكرى العشرين لاستقلال تونس - ذكرتني بذلك « الملحق الاعلامي » الذي كانت صحيفة « الاهرام » قد أصدرته عن تونس في اعقاب هزيمة سنة ٦٧ .. ففي ذلك « الملحق الاعلامي » كان هناك حديث جرى للزعيم التونسي عن تلك الهزيمة المفجعة ، ومقدماتها ، ونتائجها . وفي هذا الحديث نفسه ، كانت هناك فقرة تحدث فيها الحبيب بورقيبة عن مسئولية عبد الناصر شخصيا عن تلك الهزيمة . وفي تلك الفقرة قال الرئيس التونسي : « ان الزعيم الذي يقول انه كان ينتظر اعداءه من الشرق ، فاذا بهم يجيئون من الغرب .. لا يصح ان يكون زعيما ، ولا يصح ان يبقى في مكانه لحظة واحدة » !!

ولم يكن عجيبا ان يقول الزعيم التونسي مثل هذا الكلام عن عبد الناصر . فلقد كان مابين الرجلين من صدام حاد في الاراء ، والافكار ، والمواقف أشهر من ان يجهله أحد . لكن الذي كان عجيبا ، بل ومذهلا ، هو أن ينشر هذا الكلام في صحيفة تصدر في القاهرة .. وان تكون الصحيفة التي تنشره هي صحيفة « الاهرام » بالذات !! وانتظر الناس بعد ان نشر هذا الكلام ، وقراوه . أنتظروا أن يعزل رئيس تحرير « الاهرام » من منصبه .

أو أن يوقف ، على الأقل ، من عمله .. مثلما حدث مع  
 كثيرين لا تعتبر أخطاؤهم ، خطأ .. بالقياس الى هذا  
 الخطأ الفادح الذى وقعت فيه عجوز الصحافة المصرية ،  
 لكن شيئا مما توقعه الناس لم يحدث .. وحدث بدلا  
 منه أن جرى البحث عن « كبش فداء » يمكن اعتباره  
 مسئولا عما نشر . ومن ثم ، يقدم قربانا لهذا الموقف ..  
 ووقع الاختيار على « رقيب » الصحيفة ليكون هو  
 « كبش الفداء » المطلوب . فخصم له ١٥ يوما من راتبه ،  
 وأبعد عن العمل فى مجال « الرقابة » على الصحف !  
 ومضت سفينة « الاهرام » تمخر عباب البحر ...  
 وكان شيئا لم يحدث !!

## الحقيقة .. لها يوم !!

كتب صاحبى كتابا خطيرا .. خطيرا .. ومع انه لم يقل فيه شيئا غير الحقيقة ، او بعيدا عن الحقيقة .. ومع ان كل شيء - الى جانب الحقيقة - يصغر .. ويتضاءل .. ويصبح كمصفور صغير على قمة جبل شاهق ، الا ان ماكتبه صاحبى كان محتاجا ، لسكى ينشر ، الى مناخ غير المناخ .. والى عقلية غير العقلية .. وربما ايضا الى عصر غير العصر .

- ولكن .. الست تقر بانه لا يتضمن شيئا غير الحقيقة . ؟

- هذا صحيح .. ولكن ذكر « الحقيقة » ، فى غير مناخها ، وفى غير اوانها ، يمكن ان يصبح ضربا من الجنون فالشي فوق القمر هو - الان - « حقيقة » لا ياتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها . ولكن هذه « الحقيقة » نفسها كانت كافية - فى عصر مضى - لان تذهب بمن يقول بها الى مستشفى المجانين .. تماما كما حدث ، من قبل ، مع « جاليليو » عندما كاشف قومه بنظريته فى « كروية الارض » . لقد اعتبروه مخرفا ، بل ومجنونا ، وعذبوه ، وسجنوه ، وثلموا عينيه .. عقابا له على ماطلع به عليهم .!! ثم .. ثم دارت العصور ، واصبح ماكان « خرافة » و « جنونا » فى عصر « جاليليو » .. اصبح - هو الاخر - « حقيقة » لا ياتيها الباطل من يديها ولا من خلفها . وعندئذ هب



أحفاد الذين اعتبروا « جاليليو » مخسرفا بل  
ومجنونا ، وعذبوه ، وسجنوه - هبوا لتكريم اسمه ،  
وأقاموا له التماثيل ، وراحوا يزهون به باعتباره واحدا  
من اعلامهم ، بل واحداً من أمجادهم .! ولكن ذلك كله  
حدث ، بعد ان كان « جاليليو » نفسه قد مات « مثلوم  
العنين » بأيدي قومه .. لأنه صارحهم « بحقيقة » لم  
يكونوا - بحكم عقليتهم .. وبحكم المناخ الذى كان  
يحكمهم .. وبحكم العصر الذى كانوا يعيشونه - مهياين  
للاستماع اليها .. فما بالك بالاعتناع بها .  
- وما العمل اذن .. ؟

- ليس هناك من عمل الا « الصبر » .. الا انتظار  
« الغد » وما سوف يأتى به ، حتما ، من تغيرات فى  
العصر ، وفى المناخ ، وفى العقلية .. وعندئذ ، يصبح  
ما هو « مستحيل » ، اليوم ، قوله .. طبيعيا ومقبولا ،  
بل ومطلوبا ايضا .. اما قبل ذلك ، فانت لست نبيا ..  
كما أنك لست رسولا .. ومن هنا ، فانك لن تستطيع  
أن تحتل ان يقع عليك شئ مما وقع على الانبياء ، وعلى  
الرسل ، من اضطهاد .. ومن عذاب .. وتعذيب ، لانهم  
تلقوا الامر من « صاحب الامر » بأن يقودوا اقوامهم  
الى النور .. وبأن يبدوا الظلمات .. كل الظلمات التى  
تغشى عقولهم ، وصدورهم ، وحياتهم .

## شهيد الحرف .. والكلمة !!

كلنا سوف نموت ..

ولكن .. ليس هناك ، بالتأكيد ، ماهو ادروع من  
ميته يسقط فيها الانسان « شهيدا » في ساحة الواجب  
.. مدفنه في كتفه ، او قلعه بين اصابه ..

وقد سقط شهيدا في ساحة الواجب ، الكاتب ..  
الصحفي .. الزميل « ابراهيم عامر » .. قتله أولئك  
الاخساء جدا .. الضعفاء جدا . الذين لا يستطيعون  
مقاومة الحرف ، والكلمة ، الا بطلقات الرصاص ..  
وبالقنبلة والمدفع ، فلقد هجموا بقنابلهم ، وبمدافعهم ،  
على صحيفتي « المحرر » .. و « بيروت » .. وكان  
« ابراهيم عامر » ساعتها موجودا داخل الصحيفة  
الاخيرة .. يؤدي واجبه كما اعتاد دائما أن يؤديه ..  
ببساطة ، وبحب ، وبرغبة جياشة في العطاء .. ليس  
كمثلها رغبة .

ولقد عرفت « ابراهيم عامر » ، أول ماعرفته ، على  
أرض جريدة « الجمهورية » حين ذهبت اليها في سنة  
١٩٦٤ ، رئيسا لمجلس ادارة المؤسسة . كان خارجا  
لتوه من المعتقل ، بعد أن قضى وراء أسواره خمس سنوات  
من ازهى سنوات عمره . ولكن هذه السنوات الخمس  
المريرة لم تستطع أن تعذبني على ابتسامته ، ولا أن تطفىء  
شيئا من حباسته ، ولا من عشقه المشبوب للعمل ..  
والحرف ، والكلمة .

وكما أن الكفاءة لا تدعى .. فانها ايضا لا تدارى .  
 صحيح ان الادعياء كثيرون . لكن القادريين على كشف  
 الادعياء لا يزالون اكثر . ولم يكن « ابراهيم عامر » -  
 شهادة لله ، ولحق - من ادعياء الكفاءة ، وانما كان  
 كفاءة اصيلة .. كفاءة تستند - بجانب العشق  
 المشبوب للحرف والكلمة .. وللموهبة الاصيلية اصالة  
 سببكية من الذهب - الى تجربة صحفية عريضة ، لا يقل  
 عرضها عن خمس وعشرين سنة .. كان فيها عبارة عن  
 « نحلة » .. لا تكل ، ولا تمل ، ولا تكف عن  
 العطاء .

ولقد خرج « ابراهيم عامر » من مصر مهاجرا بقلمه ،  
 بعد ان رفض الخضوع لقرار اصدرته « لجنة النظام  
 بالاتحاد الاشتراكي » بتحويله - ومعه مايوزيد على مائة ،  
 كان فيهم نخبة من المع الصحفيين والكتاب - الى موظفين  
 في هيئة الاستعلامات !!

رفض « ابراهيم عامر » الخضوع لهذا القرار ..  
 وحمل سلاحه - قلمه - ومضى الى لبنان .. يمارس  
 نفسه ، ويمارس دوره ، ويمارس طبيعته .. طبيعة  
 « النحلة » التي لا تكل ، ولا تمل ، ولا تكف عن العطاء .  
 حتى كان ذلك اليوم المشئوم الذي هاجم فيه صحيفة  
 « بيروت » اولئك الضعفاء جدا .. الاخساء جدا ..  
 الذين لا يستطيعون مقاومة الحرف ، والكلمة .. بغير  
 الرصاص والقنابل والمفرقات .

في ذلك اليوم المشئوم .. سقط « ابراهيم عامر »  
 شهيدا . لكنه لم يمض من الحياة بلا وسام ، فقبد  
 اعتبرته الثورة الفلسطينية واحداً من شهدائها ..

وشيعت جنازته في بيروت باعتباره واحداً من هؤلاء الشهداء .

فهل هناك ما هو أروع من أن يموت الصحفي وقلمه بين أصابعه ؟ . . ثم يحين تشييع جنازته . . تمشي وراءه إني هذه الجنازة ثورة بكاملها . . ثورة من أشرف الثورات ، واطهر الثورات ، وأقرب الثورات الى الله . . لأنها ثورة من أجل الأرض ، والعرض ، والكرامة ، والشرف . .

## الصحافة .. وقارب الاخلاق !!..

في الرياض - سألتني صحفى سعودي شاب لايزال يخطو خطواته الاولى على اول الدرب الطويل :  
 \* ماهى " من خلال تجربتك الطويلة فى مهنتنا ،  
 مقومات النجاح فيها ؟  
 اجبتة :

- مقومات النجاح فى هذه المهنة الشاقة جدا ..  
 واللذيدة جدا فى نفس الوقت .. أكثر من ان تعد .  
 لكن أهمها ، من وجهة نظرى .. ومن خلال تجربتى ،  
 فهو :

\* أولا : ان تكون الصحافة هى عشقك الاول ..  
 وعشقك الثانى .. وعشقك الثالث والاخير .. فالصحافة  
 زوجة مستحيل " استحيالة مطلقة ، ان تقبل  
 " بضره " .

\* ثانيا : ان تكون ، بالدرجة الاولى ، موهوبا ،  
 فالموهبة فى الصحافة هى الأساس . الشهادة الدراسية  
 مهمة . لكن الموهبة أهم .. ذلك لأنها تغنى عن الشهادة ،  
 وليس العكس صحيحا . ويتكفى هنا ان تعرف ان ايا من  
 عمالقة الصحافة العرب لا يتحمل مؤهلا عاليا فى  
 الصحافة .. وربما ولا فى الآداب .

\* ثالثا : ان تحرص على ان يظل عقلك يقظا اربعا  
 وعشرين ساعة فى الاربعة والعشرين ساعة ، ففى

الصحافة ، ما يفوتك عمله اليوم .. صعب جدا ، ان لم يكن مستحيلا ، تداركه غدا .

✽ رابعا : ان تؤمن بان الصحافة « انضباط » .. فهي ليست « فنا » بالمعنى التجريدي لكلمة فن . وانما هي « فن » مرتبط - اساسا - بدوران ماكينات الطباعة .. وبدوران أجهزة « التيكو » .. وبدوران محركات الطائرات التي تحملها الى قرائها في كل مكان . ومن هنا ، فلا شيء فيها يقبل بالتراخي ، ولا بالتكاسل ، ولا بالتأجيل الى الغد .. ولا الى الساعة التالية .

✽ خامسا : ان تؤمن بان الصحافة اخلاق اولا .. واخلاق ثانيا .. واخلاق ثالثا واخيرا .. وليس مهما - مطلقا - ان تكون صحفيا يخافه الناس . ولكن ، مهم جدا ان تكون صحفيا يحترمه الناس ، ومهما يكن من أمر النماذج الشوهاء التي قد تعرفها ، أو تشهدها متناقضة مع هذه الحقيقة ، فعليك ان تعض - وبالنواجذ - على ايمانك « بانه لا يصح الا الصحيح .. ولن يبقى الا الاصح » .

✽ سادسا : ان تحترم نفسك .. وان تحترم قلمك .. وان تحترم كل كلمة يخطها هذا القلم ، ثم خض بعد ذلك البحر وانت واثق من انه مهما ارتفع الموج من حواك .. فانه لا يستطيع ان يفرقك . قد يرتفع الموج فيغطي وجهك .. وقد يرتفع اكثر فيغطي راسك . لكنه - وبالتأكيد - لن يفرقك . فليس هناك « قارب نجاة » تخوض به في هذا البحر اللجج ، اقوى ولا امتن .. ولا اقدر على مغالبة الامواج ، مهما كانت هوجاء وعالية . من « قارب الاخلاق » .

## صحف حرة .. ام قصاصات ورق !!؟

سعدت صحف عربية - لا اسميها - باغلاق الصحف  
في الكويت . واقامت الانراح على ماتم « الوطن »  
و « الهدف » و « الطليعة » و « الرائد » . ولم يكن  
هذا موقفا غريبا من صحافة هي - اصلا - مغلقة ،  
يعين فيها الكتاب بقرارات .. ملكية او جمهورية !  
ولكن القريب هو ان يغالط الصحفيون انفسهم ،  
فيصورون لقرائهم « المساكين » ان اغلاق صحيفة هو قمة  
الديمقراطية .. وان الارهاب هو العدل ، وان كسل  
ما ياتي به الحكام لا ياتي به الباطل من بين يديه ولا من  
خلفه .. وليس على الصحف الا ان تؤيد الصحف ، وتبرر  
وتبارك .

ان صحف الكويت ، قد تخطيء . وهنا لابد مسن  
محاسبتها . وقد « تقبض » بعض الصحف من « بعض »  
الجهات ، وهنا لابد من معاقبتها .. ولكن ، بالقانون ،  
وليس بالبطش .. بالادلة وليس بالشبهات <sup>(١)</sup>

ولم اكن اتصور ان يمسك كاتب بقلمه ، ليلعن الاقلام  
الاخرى ، ويبارك قصفها ، ويحرض على مزيد من قصف  
الاقلام .. لكن اشياء كثيرة في هذا الزمان الرديء لم  
تعد مفهومة ، اذ اختلط الحق بالباطل ، ودخل  
الاحرار السجون ، بينما بقي اللصوص خارج  
الاسوار !

واذا كانت الاتهامات تنهال فوق رأس الصحف

« المعطلة » فى الكويت ، فان لهذه الصحف ان تفخر بانها قالت رايها ، وسجلت للتاريخ كلمتها .. وكان ذلك فى ادب وموضوعية .. ولهذا فان تعطيل الصحف فى الكويت لم يكن لجريمة ارتكبتها ، وإنما كان لمجرد انها فتحت فمها ، ولكى تكون عبرة لغيرها .!

اما باقى صحف الكويت فليتها سكنت ، واستسلمت .. وليتها اكتفت بنشر « القرارات الاميرية » ، دون تعقيب .. ولكنها ، للأسف الشديد ، راحت تتبارى فى اُمتهان نفسها ، وفى صب اللعنات فوق رأسها ، وفى التدليل على انها - كما يقولون - « صحافة مرثية » تستحق أكثر مما حدث !!

ويقول العدد الاخير من جريدة « الهدف » عن تعطيل « الوطن » اليومية و « الطليعة الاسبوعية » : « ان مبدأ حرية الصحافة حيوى وهام ، والمحافظة عليه هى تأكيد لسلامة العلاقة القائمة بين الحكام والمحكومين .. وهى دليل على اننا نستطيع استيعاب النقد والاستفادة منه . ولا ريب أن التشكيك بكل صوت يرتفع ليناقد القضايا الاساسية من حرية المواطن الى ديمقراطية الشعب ، هو فى غير مصلحة الكويت العليا ..

« نحن نريد لكل مواطن ان يقول رايه ، لان حل المشكلات لا يجب ان يكون بالصمت والهمس الخافت ، بل يجب ان يتم عبر النقاش بصوت مرتفع ومسموع دائما .. لان الصمت والهمس يصل بنا الى نتيجة ضارة بالديمقراطية والحریات . »

« ونحن لا نريد لصحافتنا حرية غير مسؤولة ، ولكننا لا نريد لها ان فى نفس الوقت - أن تتحول الى قصاصات



ورق : يضطهد فيها الخبر ويتعد عنها الراى » .  
ومن أجل هذه الكلمات أغلقت « الهدف » ، لمدة ٣  
شهور .!



. اما « محمد مساعد الصالح » ، رئيس تحرير  
« الوطن » و « الهدف » ، فقد كان فى فندقه بمدينة  
« جنيف » ، عندما رأى صورة أمير الكويت على شاشة  
التلفزيون السويسرى ، ثم كلاما لم يفهم منه شيئا ،  
ولكنه أيقن بأنه لابد وان يكون خبرا مهما من بلده  
« الكويت » .

واتضح أن هذا الخبر ، هو ما ادى الى اغلاق  
صحيفته !.

وعاد رئيس التحرير الى الوطن ، ليقول : « كنت  
أتوقع من اخوانى واحبائى رؤساء تحرير الصحف القيام  
بالحد الأدنى من الواجب .. تليفون مواصاة ومشاركة ،  
ولا اريد ان أقول دعوة للكتابة فى صحفهم .. كما لا اريد  
أن أقول كتابة كلمة تحمل معنى المشاركة المهنية للتعطيل  
.. ولكن احبائى واخوانى رؤساء التحرير شاءوا  
مخالفة روح الاسرة التى سمعنا عنها كثيرا ، وعن وقوف  
الصديق مع ضديقه فى الملمات والمشاكل ، وهو خلق  
الكويتيين ، وعاداتهم ، كما قرانا كثيرا فى الصحف ..  
اقول - فضل - الزملاء السكوت على المشاركة الهاتفية  
التي من المؤكد انها لم تكن لتصل إلى المسؤولين ، ألا  
كانوا خائفين !!

« واحد فقط كان وفيا .. وكان يمارس الاخلاق  
العربية والعادات الكويتية الصحيحة ، هو الزميل

« سامى المنيسى » . لك منى ألف شكر وتقدير ..  
و « هاردك » للطبعة » .

ولست أدري كيف كان يتوقع « محمد مسباعد  
الصالح » ان يقف معه زملاؤه واحباؤه رؤساء التحرير ،  
الذين لم يستطيعوا أن يقفوا - حتى - ولا مع  
انفسهم !

عن :  
الفن .. والفنان

## واحد من «جيل الرواد» .. يتكلم !!

عبد الحميد الحديدي .. واحد من عمالقة « جيل الرواد » في الاذاعات العربية . بدأ حياته ، من اربعين سنة مضت ، مديعا .. واخذ يترقى في سلم هذا الفن الاعلامي الخطير ، درجة .. درجة ، حتى بلغ قمته .. بجلوسه على كرسى « مدير عام الاذاعة المصرية » . ولم يصل عبد الحميد الحديدي الى هذه « القمة » عدوا ، ولم يصل اليها قفزا . ولم يصل اليها والساحة امامه مقفرة .. تريد رجلا ، أى رجل ، حتى ولو كان عاطلا من كل موهبة ، ومن كل كفاءة ، ومن كل قدرة على العطاء . وانما بلغ عبد الحميد الحديدي مايلفه ، وسط زحام شديد من ذوى الكفاءات ، والمواهب ، والقدرات الفذة على العطاء .

ولعل أكبر عيوب عبد الحميد الحديدي ، فى نظر البعض ، هى نفسها أكبر مزاياه : فهو حازم . وهو حاسم . وهو قادر ، فى أى وقت .. وفى كل وقت ، على أن يقول للاعور فى عينه : « انت اعور » . ومن أجل هذا ، كان هناك كثيرون يكرهونه .. ولكن الجميع - بما فيهم هؤلاء الذين يكرهونه - كانوا يقدرونه ، ويحترمونه ، ويحسبون له ألف حساب .

وفى حوار مع مجلة « روزاليوسف » ، موضوعه « انحدار مستوى المذيعين والمذيعات فى الاذاعة والتليفزيون » ، قال هذا العملاق من جيل الرواد ،

موضحا اسباب هذا الانحدار :

« .. فيما مضى ، كانت لجان الاختبار لا تقبل المهنة « المذيع » . ألا من يصلح لها ثقافة ، وفكرا ، وصوتا ، واداء . كانت لجاننا متشددة بحق ، ثم صارت متهاونة . من غير حق . كان المذيعون ، فيما مضى ، نجوما فى المجتمع بثقافتهم ، وبشخصياتهم المتميزة .. يولائهم لمهنتهم والحرص الشديد على التجويد فيها . ثم تغير ذلك كله . لم يعد الولاء للمهنة هو الذى بهم ، ولا هو المقياس للتقدم ، بل صار الولاء للمديرين ، ولتسابعي المديرين ، ولن يحمى ظهر المديرين .. كما أن معيار رضاء هؤلاء الرؤساء لم يعد - كما كان فيما مضى - هو الحرص على المهنة ، والتفوق فيها .. بل أصبح المعيار هو مجرد « التبعية » لهم والولاء لاشخاصهم . فمثلا : هل هو ، أو هى ، ممن يجيدون التزلف ، وتقل أخبار الخصوم والشلل المنافسة .. ام لا ؟ وهذا اختبار بالغ الاهمية .! ومن كثرة الناجحين فيه ، صرنا نسمع فى الاذاعة .. ونرى فى التلفزيون .. تلك الاصوات المسطحة ، والوجوه المسطحة التى لايعنيها أن تتشقق ، ولا أن تجود فنها ، بقدر مائعتها مناورات ارضساء المديرين .. فاذا ماظهر مذيع جديد له شخصية ، وببشر عمله بالامل فى المستقبل « وهذا المذيع ، فى الغالب ، يكون له من الكرامة مايمتنعه من التملق .. واللجوء الى « ظهر يحميه » ، فمما أسرع مايطرد من جنة الاذاعة والتلفزيون .. قمر مأسوف عليه ..! وما أسرع ماتخلق الاسباب - وهذا اهون الاضرار - التى تكتب عليه الا

يتقدم فى موقعه ، وان يبقى - الى ماشاء الله - فى الظل !! » .

\*\*\*

انتهى كلام هذا العملاق من جيل الرواد فى الاذاعات العربية . فهل تقتصر « العاهات » التى « شخصها » - كاسباب مباشرة لانحدار مستوى المذيعين والمذيعات - على اذاعة ، وتلفزيون مصر وحدها .. ام ان هذه « العاهات » نفسها ، موجودة - نتيجة لتلك الاسباب - ولغيرها .. وبصورة او باخرى - فى كل اذاعة عربية .. وفى كل تلفزيون عربى ؟ .

ان الاصوات المسطحة ، والوجوه المسطحة ، التى نسمعها ونراها فى كل هذه الاذاعات والتلفزيونات .. تصرخ باعلى الصوت : « انها ليست « عاهات مصرية وحسب .. وانما هى ، للأسف الشديد ، « عاهات عربية » .. تكاد تعم كل الاذاعات العربية ، وكل التلفزيونات العربية .. ومع ذلك ، فلا أحد يريد أن يقاوم .. ولا أحد يريد أن يصحح .. ولا احد قادر ، فيما أرى ، على أن يخلصنا من هذه « العاهات » .

## الصراع على عرش أم كلثوم !!

الصراع على عرش أم كلثوم - قيل ان يمضى أكثر من اربعين يوما على غيابها - احتدم اواره ، وتعمسات اصواته . !!

ولعل اسخف ما فى هذا الصراع الذى دار بين أكثر من فنانة ، انه صراع بالكلمات !! . ولانه « صراع بالكلمات » فسوف ينتهى - بالقطع - الى لا شئ . ذلك ان العروش - أية عروش .. أدبية كانت او فنية - لا تورث بالكلمات .. وانما تورث هذه العروش بالذات ، بالتعب ، وبالعسرق ، وبالأعداد النفسى .. والفنى القاسيين .. وقبل هذا كله ، بالوهبة الحقيقية التى تؤهل صاحبها للطمع فى وراثة العرش : عرش الأدب .. او عرش الفن .

فأم كلثوم ، حين ورثت عرش « سلطنة الطرب » مشيرة المهدية » ، لم ترثه بمجرد الكلمات .. ولا بمجرد الادعاء بأنها قادرة على وراثة ذلك العرش . وانما استطاعت « أم كلثوم » .. الفلاحة البسيطة .. والذكية والعظيمة فى ذات الوقت ، أن تقتلع « سلطنة الطرب » من فوق عرشها بالتعب .. وبالعرق .. وبالعمل المضنى الذى أكد أصالتها ، وأكد موهبتها ، وأكد أحقيتها فى اعتلاء العرش .. بينما كانت « سلطنة الطرب » نفسها سائرال على قيد الحياة .. لم تفارقها !!

ان كثيرات من المتصارعات - بالكلمات - على عرش

أم كلثوم .. لا يعرفن ، حتى الآن ، كيف يختزن كلمات أغانيهن .. انهن يفنن اي كلام يقدمه لهن اي « بائع كلام » .. ولعلهن يفضلن « الارخص » ! وفي الوقت الذي يفعلن فيه المتصارعات - بالكلمات - هذا ، كانت « أم كلثوم » تتوقف كثيرا عند كلمة .. او عند جملة .. لوأحد من اعظم الشعراء ، لأنها اكتشفت ، بحسها الفني الذي لا يبارى ، ان هذه الكلمة .. او الجملة .. غير قابلة للفناء ، فتقدم على تغييرها بشجاعة .. وايضا بدوق لا يجاريها فيهما أحد !!

لقد فعلت « أم كلثوم » ذلك مع كلمات لشوقي .. وفعلته مع كلمات لعمر الخيام .. وفعلته مع كلمات لاحمد رامى . وكانت « أم كلثوم » دائما على حق .  
واخيرا .. فسهل جدا ان يدعى أى انسان - خاصة اذا كان ممن يجيدون فن الحرب بالكلمات - « احقينه » فى وراثة أى عرش . ولكن - صعب جدا ان يثبت « جدارته » بوراثه ذلك العرش . فما بالك والعرش هنا .. هو « عرش أم كلثوم » ؟!

ان المتصارعات - بالكلمات - على « عرش أم كلثوم » يذكرنى بمجموعة من « الغربان » تحاول بالنعيق .. وبالمزيد من النعيق .. أن تحتل مكانة « الببل » !!  
فهل ذلك ممكن .. ؟ !



## فيروز في القاهرة !!

أخيرا .. ذهبت « فيروز » الى القاهرة لتغنى فيها .  
 وذهاب « فيروز » الى القاهرة مكسب لفيروز ، بقدر  
 ما هو مكسب للقاهرة .. فلم يكن معقولا ، ولا مقبولا  
 الا تلتقى « عاصمة الفن العربى » بصاحبة الصوت  
 الملائكى الا من خلال تسجيلاتها . كذلك لم يكن معقولا ،  
 ولا مقبولا ان تسبجن صاحبة الصوت الملائكى نفسها  
 وراء أسوار لبنان ، فلا تتركها - اذا تركتها - الا الى  
 أمريكا .. أو كندا !!

ان « فيروز » - بالاساس - حنجرة عربية ذهبية ..  
 وهى صوت ، اقل ما يقال فيه ، انه هابط من السماء  
 .. والقاهرة هى عاصمة العرب جميعا . وذهاب « فيروز »  
 اليها كان فى الصيف ، حيث يتجمع الاشقاء العرب من  
 كل حذب ، وصوب . فاللقاء ، أذن ، لقاء مع العرب  
 جميعا بين أحضان القاهرة .. عاصمة العرب جميعا .

وفيروز ليست « غائبة » تغنى بجسدها . كما انها  
 ليست « عارضة أزياء » تغنى بفستاناتها . وانما  
 « فيروز » صوت .. صوت معبق بالحب ، وبالسحر ،  
 وبالخيال .. صوت يحملنا على ألف جناح الى عالم بعيد  
 .. الى صخرة خضراء يتدفق منها نبع رقيق ..  
 فنغتسل ونتطهر ونفريق .. ونللم ، من جديد ، اشتات  
 أنفسنا التى ضاعت منا مع لظى الحياة .. أو ضيعها  
 لظى الحياة منا .

ان الرحلة « الفيروزية » الى القاهرة ، شيء كان يجب ان يتم من زمن بعيد . كان يجب ان يتم و « ام كلثوم » مازال متربعة فوق قممتها ، حتى لا يتقول المتقولون على صاحبة الصوت الملائكى بانها جاءت الى القاهرة فى محاولة لامتلاء « القمة » التى خلت من صاحبته . !

ولكن ... لا ضير على « فيروز » من مثل هذه التقولات . فمن كان له سحر صوتها ، وعبقه ، وقدرته على التحليق بنا بالف جناح .. ليس طبيعيا ان يسلم من تقولات المتقولين . المهم هو ان تعرف « فيروز » كيف تحمى نفسها من ان « تجر » الى ذلك الصراع الدائر بالاظافر .. وبالانياب .. وبوسائل كثيرة اخرى ، غير الاظافر والانياب ، حول « القمة » التى خلت من صاحبته .. من « ام كلثوم » .

ان « فيروز » سوف تذهب مرات .. ومرات الى القاهرة .. وهى صوت معبق بالحب ، وبالسحر ، وبالخيال .. ولن يضيرها فى شيء ان يقول المتقولون عليها بانهم اكتشفوا انها « مجرد ملاك يبنى » .. وانها بلا اظافر .. ولا انياب !

## تمثال من الذهب .. لأم كلثوم !!

نحن العرب عاطفيون جدا .. عاطفيون الى الحد الذي يجرنا ، ونحن ندرى .. أو لاندري ، الى الوقوع في كثير من الشطط . من هذا الشطط الذي توقعنا فيه عواطفنا اقتراح قرأته في إحدى صحفنا .. تقدم به واحد من قرائها يحمل درجة « الدكتوراه » باقامة تمثال .. من الذهب .. لأم كلثوم !!

وأم كلثوم فتانة عظيمة مافى ذلك شك .. وهى جزء من أحزان العرب ، وإفراحهم ، وذكرياتهم ، مافى ذلك شك أيضا . وتكريم ذكرى أم كلثوم - من هذه المنطلقات جميعاً - حق لها ، وواجب علينا . ولكن .. ان تصل بنا الرغبة فى تكريم ذكراها الى حد ان يتقدم مثقف يحمل درجة « الدكتوراه » باقتراح ان يقام لها « تمثال من الذهب » .. فهذا هو الشطط الذى ليس بعده شطط !!

ولو ان هذا المثقف « الدكتور » كان قد احتسب الى عقله - قبل عواطفه - فيما يشغى ان يفعل لتكريم ذكرى أم كلثوم ، لما سمح لنفسه بأن يقترح اقتراحاً كهذا الذى اقترحه لتكريمها . أولاً : لأنه اقتراح متسم بالاغراق فى « العاطفة » .. وثانياً : لأنه بعيد كل البعد عن « الموضوعية » التى يفترض فى « دكتور » مثله أن يلتزمها .. وان لا يقيم الناس الا فى ضوءها ، ومن خلالها .

قام كلثوم - كما اتفقنا - قمة في فنها قد لا يجود  
 علينا الزمان بمثلها . وهى - كما اتفقنا أيضا - جزء  
 من احزان العرب ، وافراحهم ، وذكرياتهم . ولكنها -  
 فى التحليل الاخير - ليست « جان دارك » .. وليست  
 « غاندى » .. وليست « ديجول » .. وليست « ماوتسى  
 تونج » .. واذا كانت الامم التى ايقظها هؤلاء الزعماء  
 من رقاد ، واحيوها من عدم ، لم تفكر فى ان تقيم لهم  
 تماثيل من ذهب ، ولا حتى من قضة .. ولا من نحاس  
 .. فكيف نفكر نحن او بعضنا ، او واحد منا ، بان يطالب  
 باقامة تمثال من ذهب لام كلثوم !!؟

انها « العاطفة » كما قدمت .. وانه « الشطط »  
 الذى تجر اليه « العاطفة » ، وليس فى مجال تكريم  
 البارزين منا فحسب ، بل فى سائر المجالات .. ولو اننا  
 اعتمدنا « الموضوعية » فى كل مانحس ، ونقول ، ونقرر ،  
 لما وقعنا فى ذلك « الشطط » الذى كثيرا ما جعلنا سخرية  
 الساخرين .. ولهم الحق فى ان يسخروا منا ماشاءت  
 لهم السخرية - ماداموا يرون « دكتورا مصريا » -  
 ووسط الظروف الممثلة فى القسوة التى تمر بها مصر -  
 لا يتردد فى ان يقترح اقامة تمثال من الذهب لام كلثوم  
 .. وكان مصر ، قد صار لديها من الذهب مالا تعرف  
 ماذا تصنع به !! واذن .. فما المانع من ان تقيم منسه  
 تمثالا لام كلثوم !!؟

## هدية ابنتي !!

أهدتني ابنتي هديتين : أحدهما من السماء ،  
والأخرى من الأرض . الأولى كانت لوحة جميلة تتوسطها  
كلمة : « الله » .. وتدور حولها « آية الكرسي » .  
والقرآن - آية سورة منه .. وأى جزء من « سورة » ..  
وآية « آية » - إنما هو دواء ، وشفاء ، وأزوع واحسة  
خضراء يمكن أن يهرع اليها الانسان المسلم ، كلما أراد  
أن يهرب للحظات .. أو لساعات .. أو دائماً .. من نيران  
الدنيا المحرقة .

وليس يستطيع أن يحس بذلك كله ، أو بشيء منه ..  
الا أولئك الذين يهدى الله قلوبهم ، فيتذكرون القرآن ،  
ويتدبرون القرآن ، ويتأملون القرآن .. يتأملونه مبنى ،  
ويتأملونه معنى ، ويتأملونه قصصا ، وموسيقى ، وكلمات  
.. لو كان البحر مدادا لها ، لنفد البحر ولم تنفد كلمات  
ربى . ومصيبتنا نحن المسلمين - أو الكثر السكثيرة  
منا - أننا نلجأ الى « الغاليوم » لكى نهذا .. ونلجأ الى  
« الليبريوم » ننشد عنده الراحة لاعصابنا التي تسحقها  
الحياة اليومية بمطارقها القاسية .. نلجأ الى هذا ، والى  
ذاك .. بوعى او بلا وعى ، ولا نلجأ الى القرآن .. على  
الرغم من أنه أسهل ، وعلى الرغم من أنه أقرب ، وعلى  
الرغم من أنه اقدر - ولا قدرة تستطيع ان تطاول قدرته  
- على شفاء مافى الصدور ..



اما الهدية الثانية التي اهدتني اياها ابنتي .. فكانت تسجيلا كاملا لموسيقى الاخوين « رجباني » . ولا أدري كيف يمكن أن يكون شكل الدنيا بلا موسيقى !

لاشك في أنها كانت ستصبح قبيحة جدا ، وجافة جدا ، وحارقة جدا . فالموسيقى - في دنيانا القبيحة هذه - هي ذلك الطائر الجميل الذي يحملنا على أجنحته الخضراء ، ويخلق بنا بعيداً .. بعيداً جدا .. عن قبح الدنيا ، وجفافها وحرقتها !

ولئن كانت الموسيقى - كلها - شيئاً رائعا ، ورقيقا ، وجميلا . فلاشك أن « موسيقى الرجبانية » صنف من الموسيقى متفرد بمذاقه ، وبرقته ، وبجماله . انها بستان من الياسمين ، بكل شذاه وبكل رفته .. منتظم في عقد من النغم يغسل قلبك ، ويفسل نفسك ، ويجعلك تحس وكأنك تستحم في جدول حب ، او في بحيرة ندى .

ان ابنتي حين اختارت لي آية من القرآن .. هدية من السماء ، فانها كانت تعرف اباها .. تعرف حاجته العقلية ، والنفسية الى القرآن .. وعظمته .. وجلاله: مبني ، ومعنى ، ودروسا تجعلك تثق بنفسك .. ويومك وبغدك ، فلا قلق ولا خوف ، ولا ارتياح من شيء .. ولا قلق على شيء .

.. وهي ، حين اختارت لي « موسيقى الرجبانية » .. هدية من الارض ، فانها ايضا كانت تعرف اباها .. تعرف حاجته الى هذا البستان من الياسمين الذي انتظم نفما .. يجعلك تحس ، وانت تستمع اليه ، وكأنك تستحم في جدول حب .. او في بحيرة ندى .

## الفنان والقناع !!

فى الفن كما فى السياسة .. الفنانون - معظمهم على الاقل - يرتدون « أقنعة » يتسترون وراءها ، ويتعاملون مع الناس والحياة من خلالها ، وكما ان كل شىء فى « بحر السياسة » جائز ، فان كل شىء فى « بحر الفن » وعند الفنانين - معظمهم على الاقل - جائز أيضا . فالإبتسامة يمكن ان تكون عريضة ... والاحضان يمكن ان تكون واسعة .. والسؤال عن « الصحة .. وعن الاحوال » يمكن ان يكون ملحا ، وساخنا ، ومتواليا . لكن ذلك كله عند الفنانين - معظمهم على الاقل - كما هو عند رجال السياسة ، ليس من الضروري ان يكون مخلصا ، ولا صادقا ، ولا نابعا من القلب !! وانما هى « بضاعة للاستهلاك الوقتى » ..

لمقتضيات الظروف والاحوال والمواقف !!

ومع ان « الفن » ، فى ادق تعريف له ، هو : « الصدق » .. الصدق قولاً ، والصدق عملاً ، والصدق سلوكاً . فان كثيرا من الفنانين - وقد عرفت منهم عديدين .. فيهم الكبير ، وفيهم الصغير .. فيهم الملك ، وفيهم الصعلوك - ليسوا ، للأسف الشديد ، بصادقين .. لا مع الناس ، ولا مع انفسهم ، ولا مع فنونهم !!

ولكن ... الى جانب الكثرة الكثيرة من الفنانين المزيفين ، توجد بلا شك قلة قليلة من الفنانين الحقيقيين .. الصادقين مع الناس ، ومع انفسهم ، ومع فنونهم .

فلقد كان « شويان » ، مثلا ، فنانا حقيقيا . ولانه كان فنانا حقيقيا ، فقد رفض أن يعود الى بلده - بولونيا - طالما ظل ترابها اسيرا للاحتلال الاجنبى . لكنه لم يهرب من المعركة . بل عاش فى قلبها تماما . ظل يعزف من اجل بولونيا ، ويذكر الناس بها ، ويكسب لها - مع كل معزوفة يعزفها - صديقا جديدا ، ونصيرا جديدا .

وكان « بتهوفن » ، مثلا ، فنانا حقيقيا . . ولانه كان فنانا حقيقيا ، فقد رفض أن يلتزم جانب الطريق حتى يمر « امبراطور المانيا » الذى كان يستضيفه فى قصره !! وبينما التزم « جوته » الذى كان برفقته فى تلك اللحظة ، جانب الطريق حتى يمر « الامبراطور » . . فقد رفض « بتهوفن » ان يفعل ما فعله « جوته » !

كان « بتهوفن » يرى نفسه اكبر من امبراطور المانيا . . وبما انه اكبر من « الامبراطور » . فكيف يلتزم جانب الطريق لكى يدعه يمر !!

ولم يكن « بتهوفن » مغرورا حين فعل ذلك . . بل كان « صادقا » مع نفسه ، الى ابعد حدود الصدق ، فى تقييم نفسه . . والدليل : ان احدا من الناس لا يكاد يعرف من هو « الامبراطور » الذى حدثت معه هذه الحادثة . . ولكن احدا ، فى الدنيا كلها ، لا يجهل من هو « بتهوفن » .

لقد مات « الامبراطور » . . وجار الزمن على اسمه ، ورسمه . . بينما لم يستطع الزمن أن يدفن من « بتهوفن » الاجسده . . اما اسمه ، واما رسمه ، فقد كانا ، ولا يزالان - وسيظلان - اقوى من الموت ، ومن الزمن ، ومن ذلك « الامبراطور » الذى لا يعرف احد اسمه . !!



## عندما يبالغ الشعراء !!

نزار قباني .. شاعر عربي عظيم .. ينثر الشعر  
زهرا له لون وطعم ورائحة .. ولكن .. ان يقول « نزار  
قباني » انه استطاع - بشعره - ان يغير ملامح الشعب  
العربي .. فالى هنا ، ونختلف .. ذلك لان الثابت ان  
شيئا من « ملامح الشعب العربي » - قبل ان يقول  
« نزار » الشعر .. وبعد ان قاله .. والى هذه اللحظة  
- لم يصبه ادنى تغيير .. ان كل شيء - وهذا محزون  
واليم - ثابت فى مكانه .. قالصراعات هى هى .. والاثرة  
هى هى .. والاحقاد هى هى .. والاطماع هى هى ..  
و .. ولا جديد تحت الشمس !

ولو قال « نزار » انه « استطاع - بشعره - ان يسمع  
الناس » .. لكان صادقا .. ولو قال « انه استطاع -  
بشعره - ان يطرب الناس » .. لكان صادقا .. ولو قال  
انه « استطاع - بشعره - ان يجعل الدين لم يكونوا  
يطيقون الشعر ، يسمعون .. بل ويعشقونه » .. لكان ،  
أيضا ، صادقا .. اما ان يقول انه « استطاع - بشعره -  
ان يغير ملامح الشعب العربي » .. فتلك ولاشك  
« مبالغة » .. تجاوزت كل حدود « المبالغة » المسموح  
بها .. حتى للشعراء !!

فباستثناء قصائد ثلاث .. او اربع .. او خمس ..  
بدأت بقصيدته الشهيرة التى نرف فيها دماء قلبه ..  
« هوامش .. على دفتر النكسة » ، فان شعر

هنا يأتي العجب من تحولها الى الكشف عن جسدها بعد  
رسوخ قدمها ، وارتفاع قامتها .. وقيمتها !!  
ان اللاتي يدأن حياتهم « نجومات اغراء » .. كهند  
رستم مثلا ، مالبثن ان تحولن - بعد مارسخت اقدامهن  
- الى الادوار الجادة التي تتفق وما حققته من نجاح ،  
وما صار لهن من مكانة .. وليس صحيحا أن « ... »  
تفعل ذلك من قبيل التهالك على جمع المال .. فما أكثر  
مارفضت من ادوار لانها لم ترضها ، او لم تقنعها ...  
واذن ، فما هو السبب الحقيقي وراء رضائها بالكشف  
عن نصف جسدها .. وربما أكثر ؟!  
الجواب محير .. ولا أحد غيرها يعرفه .

« نزار » كله يكاد ان يكون غناء : غناء للحب .. وللمرأة .. « ولاجزاء بعينها » من جسد المرأة .. وتكاد أربعة أخماس السنوات الثلاثين التى استنفدها « نزار » فى قول الشعر ، ان تكون قد استهلكت فى هذا اللون من الغناء ..

وليس يعيب « نزار » أن يكون ذلك رصيده . فليس مطلوباً من الشاعر - أى شاعر - ان يكون « زعيماً » .. وليس مطلوباً منه ، أيضاً ، ان يكون « مصلحاً اجتماعياً » .. فما أكثر الذين يستطيعون - وبصورة .. أو بأخرى - ان يكونوا « مصلحين اجتماعيين » . ولكن قليلين جداً أولئك الذين يستطيعون ان يكونوا « شعراء » . وأقل منهم ، ولاشك ، الذين يستطيعون ان يكونوا « نزار قبائى » .

## الممثلة العظيمة .. لماذا تتعري ؟

صارت « ... » ممثلة عظيمة . هذه حقيقة فنية قائمة ، لا خلاف عليها . ولانها صارت ممثلة عظيمة ، فلم يعد مقبولا منها أن تظهر فى الافلام السينمائية وقد كشفت عن نصف جسدها .. وربما أكثر !!

ان هذا شيئا تفعله ، عادة ، العاطلات من المواهب ، انهن يعتمدن على اجسادهن لتكون بديلا عن مواهب لا تتوفر لهن . ولكن ، ان تكون الممثلة موهوبة .. وان تكون متعددة القدرات مثلما ان « ... » متعددة القدرة على اداء كل لون ، وكل دور ، فان الامر هنا يصبح مشيرا للدهشة .. بقدر ماهو مشيرا للتساؤل . وايضا للتعجب على الممثلة التى صارت « عظيمة » ، ولكنها لا تستطيع مع ذلك ، أن تحمى نفسها .. ولا جسدها .. من مطالب المخرجين أو المنتجين !!

ولقد يقال لها .. أو لنا - دفاعا عنها - ان « مارلين مونرو » كانت هى أيضا « ممثلة عظيمة » ، ولم يمنعها ذلك من أن تكشف عن جسدها فى معظم أفلامها .. بل لعلها ظلت تكشف عن هذا الجسد الى أن ماتت !

غير ان الذين قد يقولون لنا ذلك - دفاعا عن « ... » - ينسون ان « مارلين مونرو » بدأت حياتها « نجمة اغراء » .. ولعلها قد انتهت حياتها وهى لاتزال كذلك !! أما نجمتنا هذه - فلم تبدأ الطريق كنجمة اغراء . بل بداته فى فيلمها الاول « فلاحه مصرية صميمة » . ومن

## الفنان .. والثناء !!

الفنان : روائيا كان ، ام شاعرا ، ام كاتباً ، ام موسيقيا ، ام رساما .. لا يستطيع ان ينمو ، ولا ان يزدهر ، ولا ان يعطى .. فيجزل العطاء ، بعيدا عن احساس الجماهير به ، وتجاوبهم معه ، واشعاره - عن طريق هذا الاحساس به ، والتجاوب معه - انه لا يحترث في البحر .. ولا يصرخ في الصحراء .

ان كلمة ثناء واحدة او عبارة اعجاب واحدة يسمعا الفنان .. تفعل بنفسه فعل السحر ، وتفجر في اعماقه ينابيع جديدة .. ينابيع كثيرة .. ما كانت لتنفجر في اعماقه ، لو انه وقع تحت الشعور بانه يحترث في البحر ، او يصرخ في الصحراء !

ومن هنا .. كانت سعادتي كبيرة ، وعميقة حين جاءني - عبر الهاتف - صوت الاديب الكبير .. الطيب صالح . مدير الاعلام في قطر ، حاملا الى ثناء المحب .. واعجاب الفنان .. بما اكتبه تحت عنوان « رحلة .. في اسرار الامس » . ومع ان ما اكتبه ، تحت ذلك العنوان ، ليس « فنا » - بالمدلول الدقيق - لكلمة « فن » . وانما هو مزيج من التاريخ ، والسياسة ، الا ان الفنان الحقيقي ، على الجانب الاخر من « الهاتف » ، جعلني اشعر وكأنني اكتب « فنا » .

ولم يزعجني - وسط ثنائه المحب على ما اكتب - قوله « انه كان يقرأ لي من ثلاثين سنة » .! فلقد بدأت

اكتب حين كانت سنى اثنتين وعشرين سنة . ولا ادرى  
 كم كانت سن « الطيب صالح » وقتها .. فربما كانت  
 اكبر ، وربما كانت اصغر . ولكن المؤكد انه ماتزال امامه  
 سنوات طويلة قبل ان يبلغ « سن التقاعد » . وان كانت  
 الحقيقة انه ليس ثمة « سن للتقاعد » بالنسبة للفنان .  
 فالفنان الاصيل ، كالنهر الاصيل .. تشرق عليه الشمس  
 وتغرب .. وتجيبىء الايام وتروح .. وهو مستمر فى  
 عطائه ، مستمر فى تدفقه ، مستمر فى احتفائه ببسمته  
 الساخرة من شروق الشمس وغروبها ، ومن مجيبىء الايام  
 ورواحها . ولعلها ليس صدفة أن يكون «الفنان الحقيقي»  
 عبر الجانب الاخر من الهاتف ، واحداً من ابناء « منبع »  
 ذلك النهر الاصيل ، العظيم .. نهر النيل .. المتدفق  
 بالمطاء دوماً ، المتدفق بالحياة دوماً .. كالى فنان معتق  
 .. واصيل .

## فارس حقيقى !!

لم اكن قد رأيته ، ولا التقيت به ، قبل هذه المرة  
التي رأيته فيها يدخل على بيتى مواسيا .. بمناسبة  
ذكرى الاربعين لوفاة ابنتى . جاء فى الوقت الذى كان  
فيه المواسون الآخرون قد أخذوا فى الانصراف ، فبدأ  
كلامه معى بالاعتذار من تأخره .. فقد مضى عليه أكثر  
من ساعتين وهو يدور فى كل احياء مصر الجديدة ، بحثا  
عن بيتى الذى لم يكن يعرفه من قبل . احسست برجولته  
تحمله ، فورا ، الى حنايا قلبى الذى كان ينزف دما ..  
فانا ، كما اسلفت ، لم اكن قد التقيت به ، ولا عرفته ،  
ولم تتعد علاقتى به سطورا عشرة كتبتها ، فى زمن ما ،  
محييا واحدا من مواقفه الرجولية التى لا تحصى ..  
ولا تعد .

ومن حيث لا ادرى .. وجددتنى اقارن بينه وبين  
موسيقار كبير جدا .. ويقولون عنه أنه « ذكى جدا » .  
كان يدعوئنى الى مائدته - حين كنت فى دائرة الضوء -  
سبع مرات فى الاسبوع .. وكنت اعتذر عن دعوته  
ست مرات ، وأقبلها مرة ، من باب الخجل . ولما دخل  
أخى الكبير المستشفى لأجراء عملية جراحية ، وعلم  
« الموسيقار الكبير جدا » بذلك - وكنت ما أزال فى  
دائرة الضوء - أرسل الى أخى الذى لم يكن يعرفه ..  
أرسل اليه على المستشفى باقة ورد فاخرة جدا .. لئلا  
انها كلفته الشيء الكثير .. فلما دارت الايام ،

« السلطة » الى « دائرة الظل » ، نسينى « الموسيقار الكبير جدا » الذى كان يحدثنى تليفونيا مرة .. واثنين .. وثلاثا فى اليوم الواحد - نسينى الى حد أنه حين توفيت ابنتى التى جاءنى الفارس الحقيقى « أحمد مظهر » - على غير معرفة سابقة - مواسيا فى وفاتها .. لم يتفضل « الموسيقار الكبير جدا » بأن يرسل لى برقية عزاء !!

ان الفرق بين « أحمد مظهر » ، وبين « الموسيقار الكبير جدا » .. هو أن الاول « فارس .. حقيقى » بينما الثانى « تاجر .. تاجر حقيقى .. والفرق بين أخلاق « الفرسان » وأخلاق « التجار » هو ... لا .. لن أقوله ، حتى لا اغضب التجار .



عن :  
شخصيات من  
هنا ومن هناك

## دموع الرجال !!

فى لحظة .. اصبح اقوى رجل فى العالم ، هو  
اضعف رجل فى العالم .. تخلت عنه قواه ، واغرورت  
عيناه بالدموع ، وخائنه الكلمات .. فلم يستطع ان يكمل  
« كلمة الوداع » التى كان بسبيل توجيهها الى امته التى  
خلعت عنه ثقته ، ومنحتها لرجل غيره !

كانت صورته ، فى تلك اللحظة ، تمزق القلب ..  
وليس هناك ما هو اشد تمزيقا للقلب من رؤية « رجل  
يبكى » .. ربما لان البكاء ليس من شيم الرجال .  
لقد كانت هذه هى المرة الثانية التى احسست فيها  
بقلبي يتمزق ، من اجل « رجل قوى » . المت به لحظة  
ضعف ساحقة . اما المرة الاولى ، فكانت تلك التى رايت  
فيها « عبد الناصر » ، وهو يعلن من على شاشة  
التليفزيون ، تنحيه عن الرئاسة .. كرد فعل طبيعى  
للهزيمة القاسية التى حلت به فى حرب لم يكن يتوقع منها  
الا اعظم الانتصار .

وعلى الرغم من اننى ، فى ذلك الوقت ، كنت مختلفا  
مع « عبد الناصر » .. وعلى الرغم من اننى كنت معزولا  
عن ساحتى بامر شخصى منه ، قبيل سنتين من تلك  
الهزيمة ، الا اننى ، مع ذلك ، احسست بقلبي ينزف من  
اجله .. فلم تكن صورة ذلك « الجبل الشامخ » ، وهو  
يخر صقعا ، بالصورة التى يستطيع اى قلب ، حتى لو  
كان من حجر ، الا ينزف من اجلها .

ولقد كانت تلك هى نفس مشاعرى تجاه الرئيس  
الامريكى السابق « جيرالد فورد » حين رأيته ، على شاشة  
التليفزيون ، عاجزا عن ان يملك نفسه من البكاء . لاحظتها  
لم أر فيه صورة رئيس دولة لا أحمل لها - كعربى -  
الا نفس المشاعر التى يحملها لها كل عربى ، ويعرف  
فيها « القوة » التى تعمل على ضرب وحدتنا وتفريق  
كلمتنا .. كلما سنحت لها الفرصة لتفعل ، وانما الذى  
رأيت فى « جيرالد فورد » ، فى تلك اللحظة ، هو  
صورة « الرجل القوى » بل « اقوى رجل فى العالم -  
بحكم الدولة التى كان يرأسها - وهو يتهاوى تحت مطارق  
الهزيمة ، فلا يملك الا « الدموع » يعبر بها ، عن احساسه  
انها للحظة سعيدة ، بلا شك .. والى ابعد حدود  
السعادة ، تلك التى يستطيع فيها انسان ما أن يجلس  
فوق أعلى قمة فى بلاده . وبالمقابل فانها للحظة تعسة ،  
اشد ماتكون التعاسة .. تلك التى تسقطه فيها ظروف  
خارجة عن ارادته .. من فوق القمة نفسها .. فلا  
يملك ، ساعتها ، الا أن يبكى .. على الرغم من أن البكاء  
ليس من شيم الرجال .

## المرأة .. وجحر الافاعى !!

الذى حدث فى الصين لارملة « ماو » بعد وفاة زوجها .. والذى حدث قبله فى الارجنتين ، لايزابيل بيرون .. والذى حدث فى « الهند » لانديرا غاندى .. جدير بأن يقنع النساء - كل النساء - بأن السياسة « لعبة قدرة » .. وأنهن لسن مهيبات ، بطبيعتهن .. وايضا بطباطعنهن ، للخوض فى هذه « اللعبة القذرة » التى يقدر عليها « بعض » الرجال .. وليس « كل » الرجال .

لقد نجحت الطبيعة فى ان تشحن المرأة بقدرات هائلة على العطاء . ولكن ، ليس فى مجال الحرب . ولا فى مجال السياسة .. وإنما فى مجال البر ، وفى مجال الخير ، وفى كل مجال يحتاج فيه الإنسان - كإنسان - الى الكلمة الحنون ، والى اللمسة الحنون ، والى العطف الدافئ يحفظ له قواه ، ويمسك عليه نفسه ، ويعينه على المشى فوق أشواك الحياة .

صحيح ان للسياسة أضواءها الياهرة .. وصحيح ان المرأة .. أية امرأة .. وكل امرأة - انما هى « قراشة » تعشق الأضواء ، وتحب ان تلقى بنفسها ، وبكل مالدتها من حماسة ، فى قلبها .. دون ان تقيم أى اعتبار الى أن هذه الأضواء قد تسلبها ، فى لحظة ، بصيرتها .. وبصرها .. بل وكل حياتها .. !! الا أن المرأة ، مع ذلك ، ما ينبغي لها ان تجهل .. ولا ان تتجاهل .. ان « عالم

السياسة « ليس سوى صورة أخرى من « عالم الافاعي » .  
 . . الكبير فيه يلتهم الصغير ، ولا يستطيع أن يصمد في  
 غدا « العالم المفزع » الا فريق من الرجال هم أقرب  
 مايكونون الى فصيلة « القطط المتوحشة » التي لا تتردد  
 في ان تقتل . . لكي تعيش !!

لقد كانت المرأة ، وما تزال ، ولسوف تظل ، محتاجة  
 لمن يحميها . . لمن يفرد عليها جناحه . . لمن تقف وراءه ،  
 وتتركه يزود عنها الأزمات ، والاضطراب ، والعواصف . .  
 الا انه في « عالم السياسة » لا أحد يستطيع ان يحمي  
 المرأة من كل هذا . . لا أحد يستطيع ان يدفع عنها  
 السجن ، او النفي ، او الحكم بالاعدام . . بل انها سوف  
 تفاجأ بان الجميع قد تخلوا عنها - هذا اذا لم تفاجأ  
 بان الجميع قد انقلبوا عليها . . وتركوها لقدرها تواجه  
 - بمفردها - مصيرها . . وتحمل - بمفردها - نتائج  
 الزج بنفسها في . . « جحر الافاعي » !!

وما أرملة « ماو » . . وانديرا غاندى . . وايزيبيلا  
 بيرون ، الا امثلة . . مجرد امثلة على ما اقول .

## ليت شبابنا يفعلها !!

على امتداد يومين متصلين - شهدت احدى قاعات « مطار شارل ديغول » بفرنسا ، اجتماعا تاريخيا حضره اكثر من خمسة آلاف شاب فرنسى من اعضاء « تجمع الشباب الديجولى » . لم يرفع الشباب فى هذا الاجتماع اصواتهم بالهتاف ضد احد .. ولم يلوحوا بقبضاتهم الشابة فى وجه احد ، ولم يتناولوا على احد ولم ينتقصوا من قدر احد . فلقد أعطوا « اجازة » لقواهم كلها - عدا عقولهم - فانها وحدها التى كان عليها تحضر هذا الاجتماع ، وهى وحدها التى كان عليها ان تتكلم .. وهى وحدها التى كان عليها ان تخطط ، وتفكر ، وتدبر . ذلك لانهم اجتمعوا من اجل هدف مستقبلى ، ووطنى، ونبيل .. اجتمعوا من اجل ان يحددوا « صورة فرنسا .. كما يريدون ان يروها فى سنة ٢٠٠٠ » ، بعد ان كانوا قد كونوا - للهدف نفسه - لجانا بلغ عدد افرادها ٥٧٩ شابا وشابة ، تحت سن الخامسة والعشرين واختصت كل لجنة يبحث موضوع معين .. ابتداء من تلوث البيئة الى السياسة الخارجية لفرنسا ، عن طريق اجراء الابحاث ، والدراسات الميدانية .. مستفينة فى ذلك بالعلماء وزجال الاقتصاد ، والمفكرين ، والفنيين فى كل الموضوعات التى تصدرت هذه اللجان لدراستها وبحثها .

ويعبر « الشباب الديجولى » عن همومه هذه ، ببساطة شديدة .. وايضا بمسح شديد . انهم يقولون : « المستقبل هو حياتنا نحن ، وليس حياة الجيل الذى يتولى السلطة الآن .. ومن ثم ، فمن العبث أن يقوم الكبار - وحدهم - بآية محاولة لتحديد صورة المستقبل .. ذلك لأنه مستقبلنا ، وليس مستقبلهم » .

فما أجرح شباب أمتنا العربية - من المحيط الى الخليج - الى التفكير الجدى فى مستقبل بلادهم سنة ٢٠٠٠ ، بهذا الاسلوب .. وبهذه الطريقة التى فكر بها « الشباب الديجولى » فى مستقبل فرنسا ، فهما يكن من امر المشكلات التى تعترض طريق « مستقبل فرنسا » .. فانها ، فى اول الامر .. وفى آخره - أمة متقدمة ، وتستطيع - بتقديمها - التغلب على أكثر مشكلاتها . اما نحن .. فكلنا امة نامية . وكلنا لنا من المشكلات فى الحاضر ما ينبىء بأن المستقبل سوف يكون مروعا ، ومفزعاً .. فهل يتحرك شبابنا العربى ، فى كل أمتنا العربية ، الى شىء كهذا الذى تحرك اليه « الشباب الديجولى » فى فرنسا .. ويحاولوا - مستعينين بخبرة الخبراء ويفكر المفكرين - أن يشاركون فى رسم صورة المستقبل الذى هو - باليقين - مستقبلهم .. وليس مستقبل احد من أولئك الذين يحكمون ؟

## عندما يقول القدر : كفى !!

فى رأى المؤرخ الألمانى العظيم .. « اميل لودفيج » .. ان « نابليون » لم يهزمه أحد .. لم يهزمه قائد ، ولم تذهب بمجده معركة . وانما الذى هزم « نابليون » - فى رأى « لودفيج » - هو « القدر » الذى ضاق ذرعا بانتصاراته ، فرفع يده فى وجهه قائلا : « كفى » .. وكانت « كفى » هذه ، هى القاضية !!

قفز هذا الرأى الى خاطرى . وانا اقرا اخبار تلك الجلطة الدموية التى أصيب بها بطل الإبطال « محمد على كلاى » فى إحدى ساقيه ، نتيجة لمباراته السخيفة ، والتى لم يكن لها طعم ولا مبرر .. مع المصارع اليابانى « اينوكى » .

فهل هو « القدر » ، مرة أخرى ، يضيق ذرعا بانتصارات « محمد على » فيرفع يده فى وجهه ، كما رفعها من قبل فى وجه « نابليون » ، قائلا : « كفى » ؟ ذلك وارد . فلقد قالت التقارير الطبية عن حالة « بطل الإبطال » : ان ساقيه لن تعودا الى حالتهمما الطبيعية ، بعد ذلك الذى أصابهما فى تلك المباراة التى لم يكن لها طعم ، ولا مبرر . ألا أن يكون « القدر » هو الذى أرادها لتضع حدا لانتصارات « محمد على » التى لعله - أى القدر - قد ضاق بها ذرعا . بعد اذ رأى انها طال وتعددت .. وتجاوزت حدود الانتصار المسموح بها لرجل واحد .. فى زمن واحد .



على كل حال .. هذا وجه من وجهي الصورة .. أما  
الوجه الآخر ، فهو أن يكون « القدر » ، مثلنا ، منحازا  
لمحمد على .. ولا يريد له أن يهزمه ملاكم ، ولا أن يرديه  
وانما ليصيبه بما أصابه ، فيحمله على الاعتزال .. دون  
أن يتجرع مرارة الهزيمة ، ودون أن يسقط اكليل المجد  
من فوق رأسه .

الا ليت « بطل الابطال » يستجيب لاشارات «القدر»  
.. ويفعلها .. فيظل محتفظا - والى الأبد - باكليل  
المجد فوق رأسه (١) .

---

«١» لم يرد « كلاًى » أن يتفهم اشارة القدر هذه ، او لعله  
لم يفهمها .. فكانت النتيجة انه استمر .. واستمر .. حتى خسر  
على « حلبة الملاكمة » ، مايمكن اعتباره أعظم اكليل مجد توج  
رأس بطل .

## الرجل والاسطورة !!

— مات آخر عمالقة الحرب العالمية الثانية .. الفيلد ماريشال مونتهجرى .. أو « لورد أف علمين » — حسب اللقب التكريمى الذى منحته له بلاده . عرفانا ، وتقديرا لنجاحه فى هزيمة « ثعلب الصحراء » .. الفيلد ماريشال رومل » — بعد أن كان هذا قد هزم فى معركة الصحراء الغربية المصرية ، اربعة من اعظم قادة بريطانيا .. هم على التوالي : الجنرال ويفل .. والجنرال ولسون .. والجنرال ريتشى .. والجنرال اوكلنك .

ونتيجة لهذه الانتصارات المتوالية من جانب « ثعلب الصحراء » .. والهزائم المتوالية من جانب القسادة الانجليز .. صار الرجل .. « رومل » — صار « خرافة » نفذت بسحرها الى نفوس جنود « الجيش الثامن البريطانى » — وهو الجيش الذى كان عليه أن يتصدى لمقاتله رومل — وسيطرت على مشاعرهم ، وجعلتهم يلقون بأسلحتهم .. ويولون مدبرين كلما سمعوا — أن صدقا .. وان كذبا — أن « ثعلب الصحراء » قد ظهر فى الميدان معتليا دبابته !!

ومن هنا .. كان الهم الاول « لمونتهجرى » ، حين وصل الى الصحراء لقيادة قوات الجيش الثامن ، أن يستل من نفوس جنوده ذلك « السحر » الذى استطاع « رومل » أن ينفذ به اليها !!

ولم تكن المهمة سهلة . فبعد انتصارات فى عشرات

المعارك .. وبعد هزيمة أربعة من المبع قادة بريطانيا في هذه المعارك .. كان لابد لرومل من أن يتحول الى « أسطورة » تسيطر بسحرها على عقول جنود بريطانيا .. وتتسلل الى نفوسهم حتى النخاع !!

ويكفى لكى تقدر مدى الصعوبة التى واجهها « مونجمرى » ، وهو فى طريقه الى القيام بهذه المهمة ، أن تعرف أن جنوده - جنود الجيش الثامن الذى ذهب الى الصحراء ليتولى قيادته - كانوا يعلقون ، داخل خيامهم ، صور « ثعلب الصحراء .. رومل » وليس ثمة صورة أخرى .. لاي فائز آخر من قادة بريطانيا .

نجح الرجل فى تطهير نفوس جنوده من ذلك « السحر » .

وبعدها .. استدار « لثعلب الصحراء » .. ودخل معه فى معارك متعددة .. معركة تلو معركة .. تكلت جميعها بالانتصار .. وبدأ نجم « مونتى » - وهو اسم التذليل الذى اطلقه عليه جنوده - بدأ يدخل مرحلة التالىق .. بينما أخذ نجم « زومل » يدخل مرحلة الأفول .. حتى حلت الساعة التى استطاع فيها خصمه أن يمحقه تماما فى معركة « العلمنين » التاريخية الشهيرة .

وهكذا .. ولد ذلك المجد العظيم الذى صار جزءا لا يتجزأ من اسم ألفيلد مارشال مونجمرى .. أو «لورد أف علمين » .. لكن هذا المجد العظيم لم يكن له أن يتم الا على حساب زوال مجد عظيم آخر .. هو مجد « ثعلب الصحراء » .. « رومل » فهذه هى طبيعة المعارك .. وهذه هى طبيعة التاريخ بل هذه هى طبيعة الحياة نفسها .. منذ الازل والى الابد . صعود وهبوط ، وتوهج وافول .. وليس ثمة شىء دائم ، وليس ثمة شىء مستحيل !!

## الحب أولا .. والحب أخيرا .. !!

مستون الف جنيه استرليني « !! » دفعتها شخصية عربية ، ثمننا لسيارة واحدة .. مصممة تصميمًا خاصًا. وأبرز ما في هذا « التصميم الخاص » أنها - أي السيارة - مزودة بمدفع رشاش يعلو سطحها .. وأنها صنعت من صاج مصفح لا يخترقه الرصاص !!

والإنسان الذي يقتني سيارة هذه هي أبرز خطوط تصميمها ، أنها هو إنسان يعلم - تماما - أنه بغيض إلى قلوب شعبه ، إذا كان حاكما .. وبغيض إلى قلوب المحيطين به ، إذا لم يكن كذلك .

وإنسان كهذا ، يستحيل أن تزيده مثل هذه التصرفات إلا بغضا على بغض ، ولن تجر عليه إلا مزيدا من النقمة . أن « المدافع الرشاشة » .. و « السيارات المصفحة » .. لو كانت قادرة على أن تحمي أحدا ، لكانت قد حمت « جون كينيدي » من القتل .. ولم يكن - كما جميعنا يعرف - بغيضا إلى قلوب من كان يحكمهم ، كما أنه لم يكن بغيضا إلى قلوب المحيطين به ، ولم يفكر هو - نفسه - في أن يزود سطح سيارته الخاصة بمدفع رشاش !!

إن « الحب » - وليس « المدفع الرشاش » .. ولا « السيارة المصفحة ضد الرصاص » - هو الذي يحمي الحاكم .. أي حاكم .. لكن هذا « الحب » لن يتأتى لأي حاكم إلا عن طريق « العدل » .. « العدل » الذي

يستهدف قضايا الشعوب ويستمد قوته ، وعظمته من التفاعل الحقيقي - وليس المظهري - مع آلام هذه الشعوب وآمالها ، ومتاعبها ، وجراحها .

والإنسان الذي يقبل على نفسه أن يقطع من أموال شعبه ، ستين ألف جنيه استرليني .. يدفعها ثمنها لسيارة لا يخترقها الرصاص .. لا يمكن أن يكون الإنسان عادلاً .. ولا يمكن ، بالتالي ، أن يحظى من شعبه بذرة من « الحب » الذي يستطيع أن يقوم ، في حمايته ، مقام « المدفع » .. ومقام السيارة التي لا يخترقها الرصاص .

أن بعض الحكام يخدعون أنفسهم خداعاً بغير حدود عندما يتصورون أنهم يستطيعون أن يحكموا شعوبهم « بالمدافع » من دون « الحب » .. وهم يخدعون أنفسهم خداعاً أكبر ، وأكبر ، عندما يتصورون أنهم يستطيعون أن يفوزوا بالحب ، دون أن يترسموا طريق « العدل » .. ولو أنهم علموا أن طريق « الحب » الناشئ - بالضرورة - عن « العدل » ليس صعباً ، لو فروا على أنفسهم ، وعلى شعوبهم ، كل درهم يدفعونه ثمناً لسيارة مصفحة ، أو لمدفع رشاش ، يتوهمون أنه سوف يخميهم ، بما لن يخميهم منه شيء آخر غير الحب .. وغير العدل .

## المحارب بالسيف .. وبالكلمة .. !!

كان الرجل عظيما بشكل غير عادى . كان ينظر الى وجهه فى المرأة فىرى فيه صورة « فرنسا » .. وكان ينظر الى صورة « فرنسا » فىرى فيها وجهه هو ... وجه « ديجول » !!

ولان الرجل كان عظيما بشكل غير عادى ، فكان قليلا عدد الرجال الذين كان يحترمهم .. واقل منهم عدد الذين كان يحبهم .. واقل من هؤلاء وهؤلاء ، عدد الذين كان يحبهم ويحترمهم .. ولقد كان « اندريه مالرو » ، المفكر الفرنسى العظيم ، وزير الثقافة فى حكومة « ديجول » . والذى رحل عن دنيانا فى نوفمبر سنة ١٩٧٦ . واحدا من تلك القلة النادرة من الرجال الذين كان « ديجول » يحبهم .. ويحمل لهم ، فى ذات الوقت ، أعظم الاحترام .

« الى يمينى .. كان يجلس ، دائما ، « اندريه مالرو » .. وزير الثقافة .. وكان وجود هذا الصديق الذى يضم بين جوانحه قلبا ملتهبا كقلوب اصحاب الرسالات ، الى جانبي .. يجعلنى أشعر بان ثمة « مظلة » من الأفكار تظللنى ، واستطيع ، دائما ، ان ألوذ بها . وعندما كانت المناقشة تحتيم حول موضوع خطير ، كنت اتق بان رايه الذى يلمع فجأة مثلما يلمع البرق .. سوف يساعثنى ، حتما ، فى تبديد أكثر الظلام ، ان لم يكن كل الظلام ، من أمام عيني » !! .

لقد قاتل « مالرو » ، فى سبيل الحرية ، بقلمه .. وعندما تصور أن القتال « بالقلم » لم يعد يكفى .. لم يتردد لحظة فى أن يحمل السلاح .. علق بندقيته فى كتفه ومضى الى اسبانيا ليقاتل فى صفوف الثوار ضد الزحف الفاشى .. وهناك ، جرح ١٤ مرة .. وأسر أكثر من مرة .. ولكنه كان يبرأ من جراحة ، ويهرب من أسره ، لكى يعود فيمتشق السلاح .

ثم وضع « مالرو » قلمه جانبا ، مرة أخرى ، ليحمل السلاح جنديا فى فرق المقاومة الفرنسية ضد الزحف النازى على بلاده .. وانتصر الرجل مع المنتصرين .. وكان طبيعيا ، بعد ذلك ، أن يصبح وزيرا للثقافة فى حكومة المنتصرين .. فيجلس ، دائما ، الى يمين « ديغول » .. وتلمع افكاره كالبرق ، فتبدد الظلام من حول الرجل الذى كان ينظر الى وجهه فى المرآة ، فيرى فيه صورة « فرنسا » !

ما اروع أن يصبح رجل واحد - من خلال كتاباته وافكاره وكلماته .. وليس من خلال ملايينه وثوراته - خبرا تدينه كل اذاعات العالم .. باعتباره - حيا .. وميتا - شيئا يهم العالم .. كل أركان العالم .

## مصيبة الانسان الكبرى .. !!

« مصيبة الانسان الكبرى ، فى رأى ، هى عجزه المزرى عن التعاضد .. »  
قفزت هذه الحقيقة الى خاطرى ، بينما كنت اأمل صورة صلاح نصر .. « ملك التعذيب فى مصر » .. وهو قابض فى « قفص الاتهام » كاسد حطمت أنيابه ..!! فلا أحد كان يتوقع ، أو يتصور أن هذا الذى حدث .. كان من الممكن أن يحدث . لكن الايام تدور ، وتحمل معها - وهى تدور - كل غريب ، وعجيب ..! انها تسقط ملوكا من فوق عروشهم ، وتأتى بآخرين ربما من آخر الصفوف - لتجلسهم فوق العروش التى هوى أصحابها .. ترفع قوما الى السماء ، وتهوى الى الحضيض بآخرين كانوا فى السماء من ساعات او لحظات .. وكانت مصيبتهم أنهم كانوا يعتقدون أنهم سيظلون محلقين فى السماء ، الى ان تفتى الارض .. وما عليها .. ومن عليها ..

فما حدث لصلاح نصر ، وما حدث لقرانه ، وارتابه .. حدث مثله وبالضبط لآخرين قبلهم . كانوا ملوكا غير متوجين .. وكانوا ، من وراء الستار ، يحكمون الملوك المتوجين .. ولأنهم كانوا يحكمون هؤلاء الملوك ، فقد أخذتهم العزة بالاثم . ومضوا يتعاملون مع الآخرين ، ويعاملون الآخرين .. وكانهم حشرات ، أو ربما ادنى ..!! ثم مالبثت الايام أن دارت عليهم .. فاذا بهم يسقطون من فوق عروشهم .. واذا بهم يحاكمون ويسجنون ..



او يفرون هاربين من وجه شعوبهم .. الى حيث لا يد  
تصافحهم .. ولا مخلوق يرحب بهم !

ولان « صلاح نصر » .. واقرانه واترايه .. هم الذين  
حاکموا أولئك الملوك ، غير المتوجين ، واعتقلوهم وسجنوهم  
فقد أصابتهم « مصيبة العجز عن الانعاط » .. وظنوا  
ان الدنيا قد دانت لهم .. وانها - أبدا - لن تدور بهم  
أو عليهم .. لكنها - وهذا هو قانونها الازلى الذى لن  
يتغير أو يتبدل - دارت ، ودارت ، ودارت .. وكل  
ما هنالك أنها صبرت عليهم حتى وصلوا الى أعلى عليين  
.. حتى صاروا ملوكا يفترشون الحرير ، ويمشون على  
الحرير ، يلبسون ما هو أطيب من الحرير .. وأعلى من  
الحرير ! ثم .. ثم ألقت بهم من شاهق .. « فدفقت أعناقهم ،  
وتحطمت عظامهم ، وأصبح سلطانهم كله ، مجدهم كله ،  
عظمتهم الكاذبة كلها .. مجرد هشيم أذروه الريح !! »  
ولكن .. هل انتهت المصيبة ..؟ أعنى .. هل  
انتهت مصيبة الانسان الكبرى . المتمثلة فى عجزه عن  
الانعاط ؟

لا اظن ..

فما زال هناك كثيرون .. وكثيرون .. من طـرـاز  
« صلاح نصر » .. واقرانه ، واترايه .. وما زالت  
مصيبتهم هم نفس مصيبته .. أنهم لا يريدون أن يتعظوا  
بما وقع له .. ولا بما وقع لغيره من أشباهه واقرانه ..  
فتراهم يصممون - وهذا هو العجيب - على أن يبقوا  
كذلك ، حتى يقع لهم - وبالضبط - نفس ما وقع لهؤلاء  
.. ولغيرهم .. فيلقى بهم من شاهق .. وتدفق منهم  
الرءوس والأعناق !!

## قدر الناجحين .. !!

لم تكن « التجربة » طويلة . لكنها كانت عريضة وعميقة .. تعلم فيها مالم يتعلمه خلال ثلاثين سنة من عمره . عرف فيها « رجالا » تساوى معرفتهم - مجرد معرفتهم - قناطر من الذهب . رجالا يضعون « الكرامة » فوق المال ، و « الشرف » فوق جميع المصالح والاعتبارات والعلائق .

وعرف فيها « آخريين » برعوا براعة يحسدون عليها في صناعة « الإقنعة » : إقنعة الاخلاص ، والود ، والمحبة .. يفتطرون معك في الصباح ، ويشغشغون في المساء بسيرتك .. يقولونك مالم تقله ، وينسبون اليك مالم تفعله ، وأيضا .. مالا تستطيع .. ومالا تملك أن تفعله !

وعرفت فيها « آخريين » يتطوعون للشر - للشر في ذاته - فليس بينك وبينهم طريق مشترك .. وليس بينك وبينهم محبة ولا عداوة .. بل ليس بينك وبينهم معرفة ، مجرد المعرفة ، ولكنهم ، مع ذلك ، يتطوعون - في خسة « الانذال » - للتشهير بك ، وللتقول عليك .. يروا أعينهم مالم تر ، ويسمعوا أذانهم مالم تسمع .. ويفرفون ، حتى الاذان ، في بحور « الباطل » .. زاعمين أنه « الحق » !!

وليس مهما لدى هؤلاء أن يكون كل مايقولونه لم يقع ،

ولم يحدث .. لكن المهم هو ان يذاع ويشاع ، وتتسع دائرة انتشاره .. بعد اذ علموا ان الرصاصة التي لا تصيب ، تدوى !!

هل ذلك كله هو « الضريبة » التي يتحتم على الناجحين ان يدفعوها ؟!

هو ذلك فعلاً .. وكلما كان النجاح كبيراً ، كلما كانت « الضريبة » أفدح .. فهذا هو قدر الناجحين ، وعليهم ان يحملوا « قدرهم » على اكتافهم ويمضوا .. فكما أنه ليس في مقدور الفاشلين ان ينجحوا .. أيضاً ليس في مقدور الناجحين ان يفشلوا .. مجرد ان يكف عنهم الفاشلون والحاقدون ، اذاهم .. ذلك أمر صعب ، بل هو امر مستحيل ..

ان على الناجحين ان يروضوا انفسهم على « دفع » هذه الضريبة مهما كانت فادحة .. عليهم ان لا يضيقوا بها .. ولا يرتاعوا منها .. وان يجعلوا هتافهم ، مع كل صباح جديد :

مرحباً بك يا ضريبة النجاح .. في جميع صورك ، واحجامك ، والوانك ..

## وكلمات أخرى .. !!

وتنتهى ألى هنا ، تلك « الكلمات المصرية » التى رأت  
النور ، لأول مرة ، على صفحات مجلة « الفجر »  
القطرية .. على مدى سنتين هما كل عمرها - تنتهى هذه  
الكلمات لكى تبدأ « كلمات مصرية » أخرى ، كان من  
نصيبتها أنها نشرت هنا .. فى « مصر » .. بعد أن عاد  
القلم من رحلته التى لم يبتعد ، خلالها ، عن « مصر »  
لحظة .. وهيهات لمثل هذا الابتعاد أن يقوم و « مصر »  
موجودة ، دائما .. وأبدا ، فى حبة العين .. وفى نبض  
القلب .. وفى مسرى الدم بالعروق .

## ليس جحودا للعلم الأخضر .. !!

أعلن أحد أعضاء مجلس الشعب أنه سوف يتقدم الى المجلس بمشروع قانون باعادة علم « مصر الملكية » .. ذى الهلال والنجوم الثلاثة ، وتحويل علم « مصر الثورة » المثلث الالوان الى « علم تذكارى » .. اى الى المنفى !

وبعد ان قال عضو مجلس الشعب هذا الكلام ، صدرت مجلة شهرية متخصصة ، وهى « الاهرام الاقتصادى » وقد زيتت غلافها بعلم « مصر الملكية » . ولكن .. دون ما اى كلام ، وكأنها اختارت ان تكون دعوتها الى اعادة هذا العلم « صامتة » حتى لا يوردها الكلام موارد الحرج . !

ثم تبنى الزميل احمد بهجت ، فى بابيه اليسومى بصحيفة الاهرام ، نفس الدعوة قائلا : اننى اقترح - ان نعود لعلم مصر ذى اللون الاخضر .. بهلاله الابيض ، ونجومه الثلاثة . وهذا مجرد اقتراح ارجو ان لا يفضب العلم الجديد .. فمع احترامى الكامل للعلم الجديد ، ألا أن ألوانه كثيرة وصارخة .. والعلم القديم ألوانه هادئة ووديدة ، ثم أن اقتصارنا على لونين فى العلم ، بدل أربعة ألوان هو توفير للالوان ، وامكانياتنا المتاحة تدعو الى التوفير .

وبعيدا عن جحود العلم الاخضر ذى الهلال والنجوم الثلاثة .. وأيضا بعيدا عن التعصب للعلم المثلث الالوان

الذى رفعته ثور ٢٣ يوليو ، بعد أن تم لها الانتصار على الفاصبين من كل لون وملة ، استطيع القول أن الدعوة الى اعادة العلم القديم - مهما كانت عواطفنا تجاهه - أنها هي دعوة تجاوزها الزمن ، بقدر ماتجاوزتها حركة التاريخ ودوران الحوادث . ويكفى - لكى لا يفكر أحد فى ارجاع ذلك العلم القديم الى حياتنا - أن نتذكر أنه كان رمزاً على « مصر السلطان » .. و « مصر الملك » . وقد كان « السلطان » .. مثلما كان « الملك » .. محكومين بقوة اجنبية غاشمة ، تأمرهما فيطيعان ، وتشير فيركمان . اما عن هلع ، واما عن طمع ، واما عن شيء هو مزيج من الهلع والطمع ..

ولتسلم ابتداء - وقطعا للطريق على كل محاولة للجدل - ان الثورة الوطنية التى انشأت هذا العلم المثلث الالوان ليكون رمزاً على مصر جديدة محكومة بفلاح من ابناءها .. وليس بخديو ، ولا بسلطان ، ولا بملك .. قد وقعت فى بعض الاخطاء ، او فى كثير من الاخطاء .. وانها فى بعض المواقف ، او فى كثير من المواقف ، قد ضللت الطريق الى قواربها . ولكن .. هل باستطاعة أحد ، مهما بلغ من جحود ، ومن قدرة على الافتسيات على التاريخ ، ان ينكر ان هذه الثورة الوطنية قد خاضت معارك تعتبر - بكل المقاييس - من اشرف معارك الشعوب من اجل حريتها ، ومن اجل تأكيد وجودها .. وانها - اى الثورة الوطنية - قد خاضت كل معاركها المجيدة هذه مستظلة بذلك العلم المثلث الالوان الذى ينادى بعضهم - ويا للعجب - بتحويله الى « علم للذكرى » !!

● ففى معركة اجلاء المحتلين عن ترابنا الوطنى ، كان

هذا العلم المثلث الالوان هو الذى ارتفع فى منطقة القتال فوق ساريات الثكنات التابعة لتلك الدولة البغيضة التى لم تكن الشمس تغرب عن ممتلكاتها .

● وفى معركة تأميم قناة السويس ، كان هذا العلم المثلث الالوان هو الذى ارتفع فوق ساريات مبنى الشركة الفرنسية التى كانت دولة داخل الدولة ، والتى لم يكن باستطاعة واحد من كل أولئك الذين حكموا مصر قبل الثورة أن يقول « بم » لواحد من العساملين فيها ، أو المنتمين إليها . !

● وفى معركة بناء السد العالى .. كان هذا العلم المثلث الالوان هو الذى ارتفع فى سماء أسوان ، معلنا أن ارادة مصر فوق كل ارادة .. وان سواعد أبنائها سوف تظل ، دائما ، اقوى من القهر .. واقوى من الغدر .. واقوى من تأمر الكبار والصغار عليها .

ثم .. هل باستطاعة أحد أن ينسى أن « علم مصر الثورة » قد بلغ ذروة امجاده عندما رشقه أبناء مصر .. « أبطال أكتوبر » .. كالخنجر فى قلب « بارليف » . ؟ ان هذا المجد ، وحده ، كاف لان يجعلنا نحيط العلم المثلث الالوان بكل الولاء ، وبكل الاعزاز ، وبكل الحب .. ولان نبقىه - والى الابد - مرفوعا فوق رؤوسنا رمزا على صلابتنا ، على عنادنا ، على اصرارنا على اقتداء كرامتنا بكل مانملك من مال .. وبكل مانملك من دم .



وانه لصحيح ان هذا العلم نفسه كان قد انتكس ، فى حرب ٦٧ ، انتكاسة اليمة ومريرة . ولكن .. هل كان ، فى انتكاسته هذه ، بدعا بين اعلام الامم ؟

الجواب : كلا .. فلقد أنتكست ، على مدار التاريخ ،  
اعلام أمم كثيرة .. غير ان ذلك لم يكن مدعاة لان يطالب  
أحد باهدارها ، او بنفيها ، او بتحويلها الى « اعلام  
للذكرى » !!

لقد انتكس ، على سبيل المثال ، علم فرنسا المثلث  
الالوان انتكاسة اكثر من مريرة .. سقط في سنة ١٩٤٠  
وسقطت باريس بسقوطه ، وسقطت بسقوط باريس  
فرنسا كلها .. ولكن « ديجول » عاد في سنة ١٩٤٥ ورد  
علم بلاده الى ساريتها العالية .. ومشى ، في ظله ، الى  
قوس النصر .. شامخ الرأس ، موفور الكرامة .. ولم  
يجرؤ أحد ، في فرنسا كلها ، ان يرفع صوته مطالبا  
بتغيير العلم الذي كانت النازية قد أمتهنته ، وأذلته ،  
وداسته تحت أقدامها .

والامثلة في التاريخ كثيرة . ولكن الشعوب لا تجد  
اعلامها ، ولا تهدرها ولا تطالب بنفيها .. ولا بتحويلها  
الى اعلام للذكرى . !!

لقد نشأ على ارض مصر - علي امتداد الفترة من سنة  
١٩٥٢ حتى الان - جيل كامل لم تر عيناه العلم الاخضر  
الذي يطالب بعضنا اليوم بمودته .. وهذا الجيل نفسه  
هو الذي حارب معركة أكتوبر مستظلاً بالعلم المثلث  
الالوان . لقد عبر القناة تحته . وارتقى « حصون بارليف  
تحته ، وفتح القناة تحته .. ومن الجحود لبطولات  
هذا الجيل ان نجعله يستيقظ ، ذات يوم ، ليجد نفسه  
قد استظل بعلم لم تره عيناه يوما .. ولم يستظل به  
يوماً .. ولم ترفعه يداه ابداً !!  
اننا مانزال حتى اليوم ، ولسوف نظل الى آخر



العمر ، نفنى - وبكل الحنين والحب - نشيد « بلادى  
 .. بلادى » الذى ولد من رجم ثورة ١٩١٩. ومع أن  
 هذه الثورة قد اجهضت قبل أن تحقق أيا من أحلامها ،  
 إلا أن اخدا لم يفكر فى مصادرة هذا النشيد الذى  
 انتزعه « سيكندرويش » من اعماق وجدانه لينقى ، من  
 بعده ، واحدا من أجمل الاشياء فى حياتنا .. فكيف بنا  
 اليوم ، نريد مصادرة علم خضنا تحته أشرف معاركنا .  
 واثبتنا ، تحته ، اننا نملك - دائما - وفى ظل اقصى  
 الظروف وأصعبها .. ارادة الصمود ، و ارادة  
 التحدى .  
 !!!

## حتى تأميم القناة .. صار خطيئة .. !!

الذين يختصمون ثورة ٢٣ يوليو - بسبب او بغير سبب .. بوعى او بغير وعى - يصممون على الا يروا فى سجلها كله - على ضخامته - أى عمل عظيم .. كل مافى هذا السجل ، من وجهة نظر هؤلاء الخصوم ، ليس سوى سلسلة من الاخطاء الفادحة او الخطايا الجسام .. حتى تأميم قناة السويس - وهو واحد من اضخم اعمال هذه الثورة .. ومن اكبرها أثرا ، واشدها تأثيرا فى مسار حركات التحرر فى العالم العربى والعالم الثالث - « كان خطأ .. كلفنا أن ندخل حربا لا مبرر لها ، وان نفقد من ابنائنا عددا لا يمكن تعويضهم .. بينما لو كنا قد صبرنا على انفسنا ، لكانت شركة القناة ، بكل ممتلكاتها فى الداخل ، وفى الخارج ، وقد آلت اليها - بحكم انتهاء امتيازها فى سنة ١٩٦٦ - بغير حرب - ولا ضرب ، ولا ضحايا .. » !

هكذا قال الزميل الاستاذ أحمد ابو الفتح فى ندوة صحفية عقدها اخيرا .

وما اظن ان أحدا قد سبق الاستاذ ابو الفتح الى مثل هذا القول .. وما اظن ايضا ان أحدا سوف يلحقه . ذلك لان سياسة الانتظار « حتى يتساقط النصر تلقائيا »

لم تكن ، ولن تكون ، وسيلة معتمدة ضمن وسائل كفاح الشعوب . ولو أن ذلك كذلك ، لكان على حكومة الوفد التي كانت موجودة فى الحكم سنة ١٩٥١ أن تصبر على معاهدة ٣٦ حتى يحين موعد انتهائها .. فلا تبادر ، من ناحيتها ، الى الغائها .. ويترتب على هذه الخطوة ما ترتب من خسائر مادية جسيمة ، ومن ضحايا مدنيين وعسكريين ان لم يعدوا بالالاف ، فهم - بالقطع - يتجاوزون المئات - ولم يقل أحد ، وقتها ، ولن يقول أحد ، فى المستقبل ، أن هذه الخطوة كانت عملا خاطئا من جانب حكومة الوفد . بل لعلها أن تكون فى نظر الكثيرين - وأحسبني منهم - .. أنصع صفحة فى كتاب تلك الحكومة ، باعتبارها كانت وقفة من نوع جديد فى وجه أولئك القراصنة الذين كانوا يحتلون أرضنا .

ولو أننا أخذنا بمبدأ الانتظار - تجنباً للمخاطر - لكان علينا أن ننتظر حتى يختار الله « الملك فاروق » الى جواره ، ويهيئنا من لدنه « ملكا صالحا » يؤمن بحقوق الشعب فى الحياة ، ولا يقيم وجوده على أساس الاستناد الى جناحى الطغيان : الاحتلال الاجنبى .. والاقطاع الضارى . ومن ثم ، فلم يكن هناك أى داع لان تقوم ثورة ٢٣ يوليو التي كان من المحتمل - فيما لو فكر فاروق أن يقاوم - أن تتحول الى معركة دموية شرسة بين جيش الشعب .. وبين أولئك التمساء الذين كانوا سيختارون جانب الملك !!

أيضا .. لو أننا أخذنا بمبدأ الانتظار - تجنباً للمخاطر - لكان علينا أن ننتظر حتى يلين لنا « قلب أمريكا » فتقوم بتسليح جيشنا ، حسبما تسمح لها وغبتها

أالحققيية في تسليحنا : مدفع كل شهر .. ودبابة كل سنة .. وطائرة كل ١٠ سنوات !! ولما كان هناك اى مبرر لان نخوض معركة « كسر احتكار السلاح » بكل ماترتب عليها من آثار .. لعل حرب ٥٦ ، بل وحرب ٦٧ نفسها ، كانتا من اخطرها تخطيطا .. بوصفهما محاولتين جبارتين للقضاء على ذلك السلاح الذى بادرناء بارادتنا الحرة ، الى جلبه من الشرق .. ولم تكن من « الحكمة » ، ولا من « التعقل » ، بحيث نصبر .. وننتظر .. حتى يجيئنا - تلقائيا - من الغرب !

ايضا .. لو اننا اخذنا بمبدأ الانتظار - تجنبنا للمخاطر - لكان علينا ان نؤجل التفكير فى بناء « السد العالى » عشر سنين .. وربما عشرين سنة .. حتى يرق لنا قلب « البنك الدولى » .. ورئيسه « يوجين بلاك » .. ومن ورائهما - بالطبع - امريكا ، فيقومون - تعظفا .. وشفقة - ببناء السد العالى متى ارادوا وكيفما ارادوا .. ولتفاديننا بذلك كل الاثار التى ترتبت على مقاومة مؤامرة امريكا ، ومعها البنك الدولى ، لنسف مشروع السد العالى .. بدءا بمقاومة تأميم قناة السويس .. ومرورا بحرب السويس .. وانتهاء بالحصار الاقتصادى الذى فرضته دول الغرب علينا بقصد تركيعنا ، وتجويعنا .. الى آخر هذه الاثار التى خضناها واحتملناها ، والتى رفعت رهوسنا .. واعلت شأننا بين شعوب العالم ، والتى تمى ، جيدا ، انه ليس بالخبز وحده تحيا الشعوب .



لقد كان تأميم قناة السويس عملا ثوريا ونضاليا ، بكل مقاييس النضال والثورة .. ولو لم يكن لهذا العمل من نتائج الا انه حرك الدماء حارة فى عروق شعوب

الامة العربية التى كانت مغلوبة على أمرها ، وأعاد إليها  
الثقة بنفسها .. وبقدرةها على تغيير أوضاعها - لكان  
ذلك وحده كافيا لكى يوضع هذا العمل على رأس قائمة  
أمجد ما قامت به ثورة ٢٣ يوليو من اعمال .

وليس صحيحا ، مطلقا ، ما يقال أن تأميم قناة السويس  
كان قرارا أنفعاليا جاء كرد فعل مباشر لقيام البنك  
الدولى بسحب مشروعه لتمويل السد العالى . وبفرض  
أن القرار كان كذلك ، لما عابه ذلك أدنى عيب . فالشعوب  
الحية ، حقيقة ، انما هى التى تعرف كيف ترد على  
اية صفة توجه إليها بصفة أوجع وأشد . ومع ذلك ،  
فالحقيقة التى يعلمها كل الذين كانوا قريبين من مسرح  
الاحداث فى تلك الايام - ومنهم عشرات لايزالون أحياء  
يرزقون - تؤكد أن قرار تأميم قناة السويس كان قد  
درس ، منذ الشهور الاولى لقيام الثورة ، درسا  
مستفيضا وعميقا .. بواسطة عدد من الخبراء  
والقانونيين ، كان على رأسهم القانونى الوطنى العظيم  
الدكتور حلمى بهيجت بدوى . وكان قرار التأميم جاهزا  
فى درج عبد الناصر فى انتظار الفرصة المناسبة لإعلانه .  
فلما قام البنك الدولى بسحب مشروعه لتمويل السد  
العالى ، لم تكن امام عبد الناصر فرصة أئمن من هذه  
لكى يخرج القرار من درجه ، ويعلنه على الملأ .. حتى  
يعلم ، من لا يريد أن يعلم ، اننا قد تغيرنا .. واننا لم  
نعد ندير خدنا الأيسر أن يصفعنا على خدنا الايمن !!



اننى واحدا من الذين وقفوا بجانب ثورة ٢٣ يوليو ،  
منذ اللحظات الاولى لقيامها ، بل وقبل أن تقوم ..

لكننى ، فى ذات الوقت ، وأحد من الذين يعترفون -  
وبأعلى الصوت - بأن لثورة ٢٣ يوليو أخطاء ليس من  
السهل الدفاع عنها . لكن هذه الثورة نفسها لها من  
الامجاد ما يستحيل طمسه ، او اخفاء معالمة .

وليس معنى أن يكون لثورة ٢٣ يوليو أخطاء ، أن  
ينتهر البعض كل مناسبة .. وأحيانا بغير مناسبة .  
لكى يجردوها من معظم أمجادها ، او من كل أمجادها ..  
أن ذلك لظلم عظيم لا يقع على ثورة ٢٣ يوليو ، بقدر ما يقع  
على مصر نفسها باعتبارها الام الحقيقية لهذه الثورة  
التي أسقطت الملكية .. وأسقطت الاقطاع .. وأسقطت  
الاحتلال .. وأمت القناة .. وكسرت احتكار السلاح .  
وشيدت السد العالى .. وخلصت الاقتصاد الوطنى من  
برائن الاحتكارات الاجنبية . وأشعلت الثورة على  
الطغيان .. وعلى الاحتلال الاجنبى .. من المحيط الى  
الخليج .

انى لا انصب نفسى محاميا عن ثورة ٢٣ يوليو .  
فاحسبني - حتى اللحظة - واحدا من جرحاها . لكن  
الجراح الشخصية شيء ، والحق شيء آخر تماما ..  
والحق احق بأن يعلو فوق الجراح ، ويتسامى عليها .  
فذلك - باليقين - هو أول الطريق لاحترامنا لانفسنا .  
ومن ثم ، احترام الآخرين لنا .. أما أن نصدو فى كل  
مانقوله فى شأن الثورة عن حق .. او عن ضعف .. او  
عن رغبة دفينة فى تصفية حسابات قديمة او جديدة .  
فذلك - وباليقين ايضا - هو أول الطريق الى الأسقوط  
فى هوة التردى .

## القطاع العام .. « مولد » غاب صاحبه ... !!

الدور الذي لعبه القطاع العام - بشتى أوجه نشاطاته - في مواجهة الحروب والازمات التي ألمت بنا منذ وقع التأميم .. وحتى هذه اللحظة ، يشهد له بالكفاءة وبالمقدرة .. ويفرض علينا دعمه وتحيته وتقديره . بيد ان النجاح الكبير الذي حققه القطاع العام على امتداد ، الفترة من سنة ١٩٦١ وحتى الآن ، لاينفى القول انه قد لازمته ، وما تزال ، شوائب كثيرة .. وربما خطب .. لعلها أن تكون قد غطت ، لدى الكثيرين ، على منجزاته .. وجعلتهم يفقدون الثقة - لبعض الوقت او لكل الوقت - في ان يكون القطاع العام قد حقق نجاحا ما .. ومن ثم ، فقد ارتفعت أصوات كثيرة .. بعضها ينادى بالغائه ، وبعضها ينادى بتقليصه ، وكلها لا تعترف ا باى فضل .

وربما يكون لهؤلاء .. ولأولئك .. شيء من العذر في ذلك السخط الذي لون مشاعرهم تجاه القطاع العام . فلقد تعددت ، على صفحات الصحف ، صور الشروخ الكثيرة التي نجحت - في غياب الحساب والعقاب - في ان تشق لنفسها اكثر من طريق في ذلك البناء الضخم الذي كان يتعين على الجميع ان يحموه - باعتباره ملكا للجميع - بكل سواعدهم ، وبكل قلوبهم . فما أكثر ماقرات الجماهير عن انحرافات خطيرة هنا ، وهناك .. وما أكثر ماقرات الجماهير عن اختلاسات تجاوزت الالاف الى الملايين هنا ، وهناك .. وما أكثر ما قرأت

الجماهير عن شركات خاصة اسسها بعض القائمين بأمر القطاع العام من باطن القطاع العام نفسه ! وما أكثر ماقرات الجماهير عن عمولات بالملايين استحلها لانفسهم عدد من اساطينه .!!

ومن الحق أن نقول أن كثيرا من هذه الانحصرافات الخطيرة ، او هي كلها ، ماكانت لتقع لو أن اجهزة الحساب كانت مطلقة اليد في سائر مسئولياتها . . ودون أن يصدها عنها شعور لعله أن يكون قد بلغ عندها مرتبة اليقين بأن لا جدوى ، ولا فائدة من وراء جهودها مادام أحد لا يريد أن يحاسب . . ومادام أحد لا يريد أن يعاقب . . ومادام الاعمى قد استوى - في موازين الحساب - مع البصير . . ومادامت الظلمات قد استوت - في نفس هذه الموازين - مع النور !!

لكن ذلك كله - وأن جاز أن يكون عذرا للذين سخطوا على القطاع العام ، وحملهم على أن يرفعوا أصواتهم مطالبين بتقليصه او الغائه - إلا أنه لا ينبغي له أن يفقدنا الثقة في قدرتنا على اصلاح ماوقع في بناء القطاع العام من شروخ ، لعلنا لا نجاوز الحقيقة إذا قلنا أن القطاع العام ، في ذاته ، لا يعتبر مسئولا عنها . . بقدر مايعتبر مسئولا عن ذلك بعض قياداته ممن أعوزهم الضمير الوطني ، وأعوزتهم النزاهة ، وأعوزهم الشرف . . فلم يروا في القطاع العام إلا أنه « مولد » غاب صاحبه . . ومادام « المولد » قد غاب صاحبه ، فليس ثمة وازع لدى هذا الصنف من القيادات يمنعا من أن تلتهم « الحمص » كله . . و « الحلوى » كلها .!





لكن الاخطاء - وأن طال بها الزمن - فهي ليست فى منعة من العلاج . واحسب ان تباشر هذا العلاج قد بدت مع ذلك الاهتمام الواضح الذى أبداه المسئولون ، فى الآونة الاخيرة ، بوضع تقارير الجهاز المركزى للمحاسبات موضع العناية والاحترام . ولعل هذه التباشر تكون قد بدت أيضا فى تشديد قانون العاملين الجديد على ترسيخ سياسة « الحوافز » .

و « الحوافز » ، فى ذاتها ، لا يمكن ان تكون محل اعتراض من احد . فالمؤكد انها مطلوبة ، وضرورية ، بل وحتمية .. اذا ما أردنا للانتاج جودة وللعمل انطلاقا .. ولكن الاعتراض ، كل الاعتراض ، هو على ان تكون رؤساء مجالس الادارات فى تقرير هذه « الحوافز » مطلقة .. لا يقيدتها قيد ، ولا يضبطها ضابط . فذلك حرى بأن يحول كل شركة من الشركات الى « غزبة خاصة » .. يصل فيها صاحبها « رئيس مجلس الادارة » ويجول .. ويفدق مايشاء من اموال على من يشاء من اسناده واعوانه ، دون ان يكون لهؤلاء الاسناد والاعوان أى دور حقيقى فى دفع عجلة العمل ، او فى تجويد الانتاج .

ان نظرة واحدة يلقها أى من الوزراء الذين تقسع مؤسسات القطاع العام فى دائرة مسئولياتهم ، على قوائم المكافآت التشجيعية ، ومكافآت الانتاج التى حصل عليها كثيرون ممن يشغلون الوظائف العليا فى كثير من الشركات ، وهم جلوس فى مكاتبهم المكيفة لا يبرحونها ، سوف تصيبهم بدهشة بالغة . ذلك أنهم - أى الوزراء المختصون - سوف يكتشفون ، من خلال هذه النظرة الواحدة ، ان عددا لا حصر له من أصحاب هذه الوظائف

العليا قد حصلوا من « الحوافز » - بشتى مسمياتها - على « نصيب الاسد » . ولعل بعضهم ان يكون قد حصل من هذه الحوافز على مايعادل راتبه فى سنة .. وربما فى سنتين !! ومستحيل أن يكون هذا عدلا ، ومستحيل اكثر ان يكون حقا .. وانما هو شيء اقرب مايكون الى مانسميه بسياسة : « شيلنى .. واشيلك » !! . ان خطورة هذه السياسة التى تختصم اللمة ، وتختصم الامانة ، وتختصم الشرف ، لا تتمثل فقط فى أن بعض الناس يحصلون على مالا يستحقون ، وانما الخطورة الفادحة الناجمة عن مثل هذه السياسة انما تتمثل فى انها تصيب الكادحين الخقيقيين بالاحباط ، وبانهيار الحماسة .. فيركنون الى الراحة .. والى التراخى .. بل والى « اللامبالاة » نفسها ، ماداموا يرون أن من لا يعملون ولا ينتجون يحصلون على ناتج عرقهم على مالا يحصلون هم انفسهم عليه ، وتكون النتيجة الحتمية لمثل هذه المشاعر هى انهيار الانتاج .. كما وكيفاء ! ومن هنا .. ولكى يأتى نظام « الحوافز » - بشتى مسمياته - بشمراته المرجوة ، فلا بد من وضع ضوابط - بل كثير من الضوابط لسلطات رؤساء مجالس الادارات فى تقرير هذه « الحوافز » .. والا انتهى الامر - كما اسلفت - الى أن تتحول كل شركة من شركات القطاع العام الى « عزة خاصة » . يفدق رئيسها ما يشاء من مكافآت على من يشاء من أعوانه بغض النظر عن حجم اسهامهم فى الانتاج وجودته او فى العمل وانطلاقه .. وانما النظر ، كل النظر ، الى حجم اسهامهم فى تدعيم أركان سياسة « شيلنى .. واشيلك » . ! ان من حق العاملين فى شركات القطاع العام أن

يستريحوا ، ومن يحقهم أن يرفه عنهم ، ومن حقهم أن يرتادوا المصايف .. كالاسكندرية وبورسعيد . وان يرتادوا المشاتي .. كالاقصر وأسوان ، ولكن ... ليس شرطا لتحقيق ذلك أن ينزل هؤلاء العاملون - كما هو حادث الان .. فى كثير من الشركات - بأفخسر الفنادق ، وان ينفقوا ابهظ النفقات .. فان الذى يدفع هنا ليس هو الشركات ، بل ان الذى يدفع انما هو الشعب المطحون الذى تحمله هذه الشركات - عن طريق سلعها ومنتجاتها - ابتداء من رقيق العيش .. ومرورا بقطعة الجبن .. وانتهاء بالتلفزيون الملون ، تكاليف هذه « الرفاهية » التى لا مبرر لها ، ولا مسوغ .. اللهم الا أن يكون هذا المبرر ، وذلك المسوغ ، هو تجرد بعض قيادات القطاع العام من كل شعور بالامانة نحو « المال العام » الذى لا يخرج ، اولا واخيرا ، عن كونه امانة فى أعناقهم لا يملكون - مهما ابتكروا من معاذير - حق تبديدها ، ولا العبث بها ، ولا الانحراف بها عن مسارها ان وضع الضوابط - كثير من الضوابط - على سلطات رؤساء مجالس الادارات فى تقرير نوع ، وحجم « الحوافز » للعاملين فى مؤسساتهم ، أمر لا يحتمل التراخى فيه ، او التفاضى عنه .. هذا اذا كنا إيجابيين فى حماية القطاع العام من ان يتحول الى « عربة إخاصة » .. واذا كنا لانريد أن نأتى - بعد وقت يطول او يقصر - قنبكى .. ونتفجع .. ونسأل - حيث لا يجدى التساؤل - « أين كنا .. عندما تحول القطاع العام الى عربة خاصة !!! » .

## رجل .. فى فوهة المدفع .. !!

لم اكن محتاجا لان اقترب منه ، او ان اقيم معه علاقة شخصية ، لكى اعرف أنه واحد من ذلك الطراز النادر من الرجال الذين يعملون فى هدوء وصمت .. وبلا ضججة ولا ضوضاء كتلك التى تحدثها البراميل الفارغة .! فلقد وضعته كفاءته المتألقة .. ووضعه علمه وانتماؤه الحميم لمصر وترباها ، على رأس مرفق مصرى خطير ، بل لعله اخطر المرافق المصرية جميعا ، ذلك لانه - اعنى المرفق - مصرى بالمكان .. على بالدور الذى يلعبه . ومن هنا كان العالم - وما يزال - ولسوف يظل .. يضع عينيه على هذا المرفق راصدا حركته .. نجاحه او فشله .. تأخره او تقدمه ..

واذا كانت كفاءة الرجل المتألقة ، وعلمه وانتماؤه الحميم لمصر وترباها ، قد جعلت ثورة ٢٣ يوليو تضعه على رأس اخطر مرفق مصرى - على ، فلقد وضعه قدره ، ومعه مرفقه الخطير هذا ، فى طريق المعارك . فكان كلما اندلعت على أرضنا حرب ، وجد نفسه ، ومرفقه معه ، فى قلب المعركة .. لا بل فى فوهة المدفع !!

لكنه ، فى كل مرة وضعه قدره فيها فى قلب المعركة .. وفى فوهة المدفع ، لم يكن ينكفىء على نفسه .. واضعا يده على خده حزينا آسفا .. فى انتظار ساعة

تتوقف فيها الحرب لكي يعود فيعمل ، بل كان يتحول  
- وفي سرعة مذهلة - ومع برجاله ، وترساناته ،  
وروشه ، وكل الادوات التي بين يديه الى خدمة الحياة  
المدنية بنفس المقدرة ، بنفس الكفاءة ، بنفس الحماسة  
المبهرة التي كان يخدم بها العالم ، شقيقه وقربه على  
السواء ، قبل ان تضعه المارك في فوهة المدفع !!

لقد اغلقت « قناة السويس » - ذلك المرفق المصري  
العالمى الخطير - اغلقت في اعقاب حرب ٦٧ ثماني  
سنوات كاملة . ثم عادت في سنة ٧٥ لتستأنف دورها  
العتيد في خدمة العالم .

ولكن ... هل عادت « قناة السويس » الى ما كانت  
عليه قبل اغلاقها ؟

انها لو كانت قد عادت الى مثل ماكانت عليه ، قبل  
اغلاقها ، لكان ذلك - في حد ذاته - انتصارا رائعا  
لذلك « المايسترو » النادر المثال .. الذي يقود نخبة  
مختارة من ابناء مصر ، احسبهم قد قطعوا على انفسهم  
عهدا بان يبهروا العالم بما في مقدورهم ان يفعلوه بين  
العشرة .. والعشرة !!

لكن « قناة السويس » لم تعد الى مثل ماكانت عليه  
.. بل عادت الى احسن مما كانت عليه عرضا وعمقا ..  
وراحت تستقبل الناقلات العملاقة .. نفس الناقلات  
التي بناها اصحابها بهدف الاستغناء بها عن « قناة  
السويس » التي كانت ، قبل اغلاقها ، عاجزة عن استقبال  
مثل هذا النوع من الناقلات .

فهل تم ذلك الانجاز الهائل فجأة .. وساعة ان تقرر  
ان تفتح القناة ذراعيها لتستقبل ، من جديد ، سفن  
العالم . ؟!

مستحيل طبعا .. فمثل هذا الانجاز الهائل ، بكل  
المقاييس ، لابد وان تسبقه دراسات مضيئة ، وسهر  
طويل ، وجري هنا وهناك للالتقاء بالخبراء من كل لون  
وجنس ، قبل ان يستقر الراي - أخيرا - على من سوف  
ياتي منهم ليخطط عرقه بعرق الجباه المصرية الاصيله ،  
والقادرة - دائما - على صنع المعجزات حين يضمها  
قدرها في موضع الاختبار .

ولن يكون بناء « السد العالي » .. واقامة « مجمع  
الحديد والصلب » ونسف « خط بارليف » في ساعات ،  
من الوجود .. وشق « نفق الشهيد أحمد حمدي » ..  
لن يكون ذلك كله هو آخر المعجزات التي تستطيع العقول  
المصرية ، والسواعد المصرية ، ان تحققها !!



ولان نجاح المهندس « مشهور احمد مشهور » ، ذلك  
« المايسترو » النادر المثال ، كان رائعا وباهرا .. فقد  
كثرت التساؤلات حول أسرار ذلك النجاح الرائع  
ومفاتيحه .

وفي الاسبوع الماضي - وبمناسبة الذكرى الثامنة  
لإعادة فتح القناة - سألوه صراحة ، ومباشرة ، عن  
هذه « المفاتيح » .. وتلك الاسرار . فجاءت اجاباته  
قاطعة الدلالة على مدى ابتعاده عن « الانا » القاتلة ..  
وقاطعة الدلالة أيضا على ايمانه بالانسان ، وبمسا  
يستطيع ان يفعله .. وكيف انه - أي الانسان - قادر

على ان يصنع المعجزات .. متى وجد من يؤمن به ،  
ويعطيه بقدر ما يأخذ منه ، ويضع انسانيته قبل اى  
اعتبار .. وفوق كل اعتبار .

● قال « مشهور » ، وهو يقدم للناس مفاتيح نجاحه :  
« الحقيقة - امام الله - أن نجاح العمل فى هيئة قناة  
المويس لا يرجع الفضل فيه الى شخص واحد . ولكن  
يرجع الفضل فيه لأكثر من ١٤ ألف شخص هم مجموع  
العاملين فى الهيئة .. وكل واحد منهم ساهم بنصيبه  
فى هذا النجاح دون أن يدخل بأى جهد .. اننى اعترف  
ان الجهد الصامت ، واردة التحدى التى ملأت نفس  
كل واحد منا ، كانت هى « مفتاح المفاتيح » .. فاذا  
أردت لاي عمل أن ينجح ، فلا بد أن نزرع - اولا - فى  
قلب كل رجل ارادة التحدى .. تحدى الفشل ..  
تحدى الصعوبات .. تحدى قلة الامكانيات .. تحدى  
الروتين . تحدى اليأس . والآنسان يجب ان يدخل  
معركة ، او معارك من هذا النوع ، وينتصر .. واعترف  
ان برجالى - كلهم - أنتصروا فى معارك التحدى وكانت  
- للحق - معارك كثيرة واجهنا فيها الخطر ، وواجهنا  
القلق ، وأحيانا كنا نواجه « الموت نفسه » ..

● وقال « مشهور » : لقد كنت أثناء فترة اغلاق  
القناة ، اتابع من خلال أجهزة الهيئة ، التطورات التى  
تجد فى العالم كله .. وكنا نعمل كما لو كانت القناة  
تعمل . ومن هنا شهدت القناة ملحمة التغيير ... ثم  
ملحمة التطوير ، دون اى عثرات .

اننى لا ازهو بأحدث المعدات التى تستخدمها الهيئة .  
ولكنى ازهو - أكثر - بالرجال الذين يعملون على هذه

المعدات ويقدر انهم ، ان الانسان عندي اهم من اى آلة فى العالم .. وهو عندي اعلى من اى كمبيوتر فى العالم ، ولو أنك ركزت اهتمامك بالانسان ، واعطيته من وقتك ، ومن رعايتك ، ولم تيخل عليه .. فسوف يعطيك بدوره الكثير .. بل اكثر مما يتخيل .

● وقال « مشهور » : لدى ثقة كاملة فى ان العلماء المصريين من اكفأ العلماء فى العالم ، ولكنهم يحتاجون الى شيئين : التقدير أولا .. والامكانات ثانيا .. ولانى اهتم اهتماما خاصا بالجانب الانسانى اكثر من الجانب المادى ، فقد اعطيت للعلماء العاملين بالهيئة الشيين معا : التقدير والامكانات فاعطونى نتائج تشرف مصر كلها .

● وقال « مشهور » : العامل عندنا لا يخرج الى المعاش فى صمت .. ولكن كل عامل عاش فى القناة ، وشهد معاركها ، وشارك فى هذه المعارك .. واصبحت القناة عمره ، وحبه الكبير ، لابد ان يخرج الى المعاش ولديه الشعور ان جهده لن يطويه النسيان . ولهذا نقيم احتفالا للمحاليين الى المعاش ، لا نكتفى فيه بتكريمهم ، وانما نحل فيه اية مشاكل تكون موجودة لدى اى واحد منهم .. ان مفتاح اى نجاح هو « الانسان » .. الانسان أولا .. والانسان اخيرا .. وبعد ذلك كل شئ يهون .

وبعد .

لقد اكبرت هذا الرجل .. هذا « المايسترو » النادر المثال - اكبرته مرتين : المرة الاولى عندما التقيت به مصادفة وكنا - المحامى والانسان العظيم النبيل الرحوم عبد الفتاح حسن وانا .. تغادر مكتبه ، فسوجدناه



واقفا ينتظر المصعد الذى كنا نهبط به ، وبعد ان تصافح الرجلان ، قام المرحوم عبد الفتاح حسن بتقديم كل منا للآخر .. وجدته بسيطا ، ومتواضعا ، وودودا كفلاح مصرى اصيل . وعلى الفور ، قفزت أمام عيني صورة الشجرة المحملة بالثمر .. انها تتجه بفصوصها وثمارها نحو الارض .. على العكس تماما من الشجرة العقيم من اى ثمر ، فانها تتعالى بنفسها نحو السماء !!

اما المرة الثانية التى اكبرت فيها « مشهور احمد مشهور » فكانت يوم أن اعتذر - وبإصرار - عن تولي منصب الوزير عندما عرضه « السادات » عليه .. فكثيرون جدا من الناس يتطلعون الى هذا المنصب ، ويتهافتون عليه ، ويضحون - فى سبيله - بمواقع ذات شهرة عريضة ، وكسب مادي وفني .. لكنه - استثناء من هؤلاء الكثيرين الذين يسيل لعابهم تطلعا الى هذا المنصب - لم يتردد لحظة فى رفضه .. وأثر عليه - وفى اصرار - حبه الاول والاخير .. قناة السويس !! على الرغم مما يجره عليه هذا الحب من متاعب واهوال فى طبيعتها انه يضعه - بين كل آونة واخرى - فى قلب الثيران .. وفى فوهة المدفع !!

## سلام على جامعات العمالة .. !!

سلام على جامعات لطفى السيد وظه حسين واحمد  
امين .

سلام على جامعات على مشرفة وعبد الرازق السنهورى  
وعلى ابراهيم .

سلام على جامعات حلمي بهجت بدوى ومصطفى القللى  
وعبد الوهاب عزام .

سلام على أيام كانت فيها ساحلت جامعات مصر  
مقدسة .. تماما كساحات القضاء ، لا تكاد نسمع منها  
.. ولا تكاد نسمع عنها .. لفوا ولا تأثيما .

سلام على أيام كان فيها « رئيس الجامعة » .. وايضا  
« استاذ الجامعة » مهيبا وجليلا ومنيعا على كل ذى  
سلطان ، وعلى كل ذى صلة بالسلطان من قريب او  
بعيد .

أما اليوم .. فليس بملك الفرد - وهو يقرأ ، ويسمع ،  
بما يجرى وراء جدران الجامعات .. وفى دهاليزها ..  
وخلف كواليسها - الا أن يضرب كفا بكف .. ويتساءل  
فى مرارة ، وايضا فى ذهول : ماذا جرى للجامعات ؟!

نعم .. ماذا جرى للجامعات ، حتى أصبحنا لا يكاد  
يمر علينا يوم دون أن نسمع فيه بفضيحة من نوع ما ،

تدور فصولها فى اروقة واحدة منها ؟!

وليت هذه الفضائح التى اخذنا نقرأ عنها ، ونسمع بها فى الاونة الاخيرة - ليثها كانت محصورة فى دائرة « الطلائع » ممن سوف يصبحون ، غدا ، اساتذة الجامعات .. نعم ليثها كانت محصورة فى دائرة المعيدى والمدرسين المساعدين ، والمدرسين .. اذن لمان الخطب قليلا .. ولالتمسنا لهؤلاء العذر من جموح شبابهم ، ومن ضالة تجاربهم ، ومن تعجلهم - الطبيعى - لبناء مستقبلهم وتحقيق طموحاتهم .

ولكن مايجعل الخطب جلا ، والمصيبة فادحة ، هو ان تلك الفضائح الجامعية التى اخذنا نقرأ عنها ، ونسمع بها ، لا تتصل - من بعيد أو قريب - بهؤلاء « الطلائع » وانما تتصل - وهنا مكنى المارة والحسرة والفزع - بالقمم من سدنة الجامعات .

فلقد قرأنا ، من قبل ، عن رئيس واحدة من جامعاتنا الاقليمية تطلب اليه ان يستقيل من منصبه الخطير .. بعد ان ثبت ضده انه قبل من احد المتعاملين مع الجامعة جهازا تليفزيون .. او جهاز « فيديو » ، لا فرق !

ومن قبل - ايضا - سمعنا لفظا خطيرا يدور حول تصرفات رئيس جامعة اقليمية اخرى . ولقد رددت هذا اللفظ الخطير نائبة - تحت قبة مجلس الشعب ، وانبرى رئيس الجامعة للدفاع عن نفسه . وصدق كثيرون دفاع الرجل عن نفسه ، لكن كثيرين غيرهم لم يصدقوه ، تاسيسا على انه مستحيل ان تاتى كل هذه التهم من فراغ .. وانه مستحيل ، ايضا ، ان يكون هناك دخان بغير نار ! وبين هؤلاء واولئك بقيت سمعة الرجل ،

وسمعة جامعته معه ، مشغنة بالجراح ..! .  
وان هي الا ايام حتى جاءت ثالثة الاثافي .. جاءت  
ممثلة في عميد احدى كليات جامعة المنصورة . كشفت  
الرقابة الادارية عن قيامه بافتتاح مكتب تنسيق خاص  
به ، راح يقبل عن طريقه كل الذين لا تؤهلهم مجاميع  
درجاتهم للالتحاق بأية جامعة .. وذلك نظير دفع  
« المعلوم » الذي لم يكن يقل عن ألف جنيه !!

مصيبة كبرى .. واهدار قاتل لكل المبادئ والقيم ،  
وعلى رأسها مبدأ تكافؤ الفرص بالنسبة لأولئك الذين  
يعتمدون على جهدهم وحده ، وعلى سهرهم وحده ،  
فاذا بهم يتساوون مع المستهترين والكسالى والفاشلين  
.. لمجرد ان آباء هؤلاء يملكون ألف جنيه يقدمونها  
للدكتور العميد .. وما اكثر الذين أصبحوا ، في هذه  
الايام الرديئة ، يملكون بدلا من الالف جنيه الواحدة  
عشرات ، بل ومئات الالاف من الجنيهات .. دون أى  
جهد ، ودون أى عرق ، ودون أن يكون فيهم من يساوى  
جنيها واحدا مما صاروا يملكون !!

ولقد بادر رئيس جامعة المنصورة الى ايقصاف  
« الاستاذ .. الدكتور .. العميد » عن العمل وحالته  
الى التحقيق . نشرت ذلك النبا المفجع ، بكل تفاصيله ،  
صحيفة معارضة . و مر يوم واحد فحسب ، واذا  
بصحيفة « الاهرام » الصادرة بتاريخ الاربعاء ١٨ مايو  
تطالعنا ، فى صفحتها الاولى ، بنبا يقول : « ان رئيس  
جامعة المنصورة أصدر قرارا بايقاف امين عام الجامعة  
واثنين من اساتذة كلية الهندسة عن العمل واحالتهم الى  
المجالس التأديبية المختصة بعد ان وجهت اليهم النية

الكلية بالمنصورة تهمة الاضرار العمد بالمال العام ..  
 والتكسب من الوظيفة واختلاس اموال الجامعة » !  
 وقبل كل هؤلاء قرأنا عن استاذ الطب الذى حول بيته  
 الى « مشرحة خاصة » وراح يعطى طلابه الدروس  
 الخصوصية بالاف الجنيهات !! وكان مايتكسبه من  
 مهنته لا يكفيه .. على الرغم من أن مهنة الطب قد  
 تحولت فى أيدي بعض من يمارسونها الى نوع من التجارة  
 يعتبر من اكثر انواع التجارة ادراا للربح الحلال .. او  
 الحرام .

فأى خطب فادح هذا الذى حلّ بساحات جامعاتنا  
 التى كانت فى الثلاثينات والاربعينات ، وحتى فى  
 الخمسينات ، نظيفة ، ومهية ، وجلية ؟  
 ومن ياترى المسئول عن هذا الخطب الفادح الذى حل  
 بجامعاتنا التى كانت ، حتى الامس القريب ، مقدسة  
 كساحات القضاء سواء بسواء ؟

● هل هى النظم المعمول بها اليوم ، والتى جعلت من  
 يستحق .. ومن لا يستحق - مادام قادرا على التسلق  
 كشجرة اللباب - قادرا ، بالتالى ، على الوصول الى  
 قمة القيادة فى الجامعات ؟

● ام هى الطريقة التى اضحينا نختار بها رؤساء  
 الجامعات ونوابهم ، والتى تعتمد - اساسا - على مدى  
 اتصال هؤلاء ، واولئك ، بمواكب السلطان ؟

● وهل اصبحت هذه الطريقة هى الفيصّل فى  
 اختيار الرجال لهذه المناصب التى لا يصلح لها - بالقطع  
 - الا ذوى العلم والعفة والصلابة والكبرياء ؟

● أم ان المسئول عن هذا كله هو ذلك « الهرم

المقلوب « الذى أوحى لكثير من ضعاف النفوس فى كل مجال ، وليس فى مجال الجامعات فحسب ، بمحاولة اللحاق ، من أى طريق .. وبأى طريق .. بملوك الانفتاح وصعاليكه .

آية مصيبة هذه التى نزلت بنا واجتاحت ، بين كل ما اجتاحت من قيمنا ورموزنا ، ساحات الجامعات ؟!

وأين ، آذن ، يجد شبابنا القدوة .. والمثل الأعلى .. اذا كان الذين يفترض فيهم أنهم « القدوة » .. وانهم « المثل » يتساقطون امامهم تماثيل محطمة على هذا النحو الاليم .. وبهذه الصورة المفجعة ؟!

على أننا لا ننكر - ونحن نتساءل : متى .. وكيف .. ومن هو المسئول عن هذا الخطب الفادح الذى نزل بساحات الجامعات - ؟! لا ننكر ، مطلقا ، ان بين صفوف أساتذة الجامعات - كبارهم وشبابهم على السواء - يوجد كثيرون .. وكثيرون - جديرون حقا بكل الثقة .. وجديرون أيضا بكل الاكبار والاحترام . لكنهم للأسف الشديد محاصرون .. محاصرون بكل أسباب المرارة ، والتعاسة ، والاحباط التى ينشرها فى طريقهم آخرون يحملون فى مقدمة مؤهلاتهم ، كل خصائص « شجرة اللبلاب » .. وبالتالي ، فهم يتسلقون .. ويتسلقون . ويتسلقون .!!

فهل من منقلد ؟!

هل من منقلد يعيد الى جامعاتنا قداستها ، وجلالها ، وكبرياءها ، وارتفاعها بنفسها ، وبقيمها ، فوق أى انحراف .. وفوق كل انحراف ؟!

لتكن نقطة البدء ، هنا ، محاولة جادة .. مخلصه

وواعية لتحسين تلك الصفوة من رجال مصر ضد سموم ذلك « الهرم المقلوب » الذى - فى ظله - ذهب أهل القمة الى القاع .. وصعد أهل القاع الى القمة !! والذى أضحى مستحيلا - فى ظل وجوده واستفحال شروره - أن يحتفظ كثيرون بنقائهم .. وبطهارتهم وبنظافة أيديهم .

وليس بجائز لنا ، ونحن نفكر فى هذا كله ، ان ننسى تلك العبارة المثلثة صراحة وصدقاً ، والتي قالها واحد من الاساتذة الكبار فى كلية الحقوق بجامعة الاسكندرية للرئيس الراحل انور السادات عند اجتماعه بهم فى ناديهم - قال له ، وهو يحدثه عن الأوضاع المالية لاساتذة الجامعات : « نحن ياسيادة الرئيس نكتفى بالفرجة على الفاكهة ، بينما آخرون أنت تعرفهم يشترونها بالصناديق » !

نعم .. هل من منقذ للجامعات مما هى سائرة اليه ، بفضل ماشره فى مجتمعنا « ملوك الانفتاح وصعاليكه » ، من سلوكيات مدمرة كفيلة بأن تأتى على المجتمع كله ، من أساسه ، وليس على الجامعات .. واساتذة الجامعات .. وحسب .

## أنهم يقتلون الشعب .. !!

أوشك أن يكون مستحيلا ، هذه الأيام ، أن تطلع علينا صحف الصباح دون أن تحمل البنا خبرا .. أو أخبارا عن قيام السلطات بضبط كميات هائلة من المخدرات بكل صنوفها والوانها القاتلة : فمن هرويين .. الى كوكايين .. الى حشيش .. الى افيون .. الى نجوب من كل صنف - وهي في طريقها الى أبناء الشعب لكي تدمر طاقاتهم ، وتستذل ارادتهم ، وتغني أجسادهم ، وتحولهم الى عبيد أرقاء لهذا النوع أو ذاك من أنواع هذه المخدرات القاتلة التي لا بد وأن تحيلهم - طال الوقت أم قصر - الى مجرد أشباح لا تقوى على شيء .. ولا تملك من ارادتها ما يجعلها قادرة على أن تفعل شيئا .. اللهم الا المزيد من السقوط في مهاوى الضياع والجريمة والتشرد .

ولقد بات واضحا - وضوح الشمس - ان المسألة لم تعد مسألة تجارة شريرة .. يمارسها رجسالة شربون .. ونساء شريرات . وإنما المسألة أشد فداحة وخطرا من أن تكون كذلك . فان ضخامة كميات المخدرات ، من كل صنف ولون ، التي تقوم السلطات المسئولة بضبطها كل يوم تقريبا وهي في طريقها الى



داخل البلاد : اما بالبحر .. او بالبر .. او بالجو ..  
 أما هي مؤثر خطير .. خطير .. يصرخ فينا بأعلى  
 الصوت : « ان شعبنا اضحي مستهدفا بهذا النوع من  
 « القتل البطيء » الذي يحول « قوته الضاربة » المتمثلة  
 في شبابه .. وفي صناعه وعماله .. الى مجرد قوة  
 مهزومة من داخلها .. وعاجزة ، كل العجز ، عن العمل  
 .. وعن الانتاج .. وعن العطاء الحقيقي .. اية كانت  
 صور العطاء وأشكاله »

وما اظن أنه بغائب عن وعي الواعين منا ان هذه الهجمة  
 الشرسة من هجمات « الموت الاسود » التي تحمله معها  
 تلك الكميات الهائلة من المخدرات المتدفقة ، من كل صوب  
 على بلدنا .. قد جاءت متزامنة مع دعوة جادة .. صادقة  
 ومخلصة .. لزيادة الانتاج في كل موقع وفي كل مصنع  
 .. في القطاع العام ، وفي القطاع الخاص ، وفي كل  
 مكان تدور فيه عجلة عمل . ومستحيل ان يكون هذا  
 « التزامن » بين هذه الهجمة الشرسة من هجمات ذلك  
 « الموت الاسود » وبين تلك الدعوة الحارة .. الصادقة  
 والمخلصة .. لزيادة الانتاج ، قد جاءت مصادفة او  
 اعطباطا .. وانما هي - وبالقطة - مخطط شرير ..  
 مرسوم ومذبذب .. ومحددة - عند من رسموه ودرسوه  
 - كل سرامييه .. وكل أهدافه وابعاده !!

ومتى كان الامر كذلك - وكل المؤشرات تقطع بانه  
 كذلك - فلا بد ، اذن ، من اجراء يتناسب في شراسته  
 وهذه الهجمة الضاربة التي يشنها « تجار الموت » على  
 قوتنا الضاربة » .. على شبابتنا وعمالنا وصناعنا .

ان القانون الالهى صريح ، كل الصراحة ، في ان « مز

قتل يقتل» .. كما ان القانون الوضعى صريح هو الآخر، كل الصراحة ، فى ان « من قتل يقتل » . واذن فلا ينبغى ان يكون هناك تردد ، ولا شبه تردد ، فى تطبيق عقوبة « الاعدام » على كل من يضبط متلبسا بتهريب المخدرات الى داخل البلاد، او بالاتجار فيها .. وعلى ان يتساوى فى الخضوع لهذه « العقوبة الرادعة » من يحاول ان يهرب او يتاجر فى جرام واحد بمن يحاول ان يهرب او يتاجر فى الف جرام .. فكلاهما ، بالتاكيد ، قاتل .

وفى يقينى انها لن تكون غير مرة .. مرة واحدة .. او مرتين على اكثر تقدير .. يحكم فيها - ومعجلا - باعدام واحد او اكثر من هؤلاء الذين يحترفون ممارسة جريمة « القتل البطيء » فى ابناء شعبنا ، حتى ينقطع دابر كل شيء .. ويتوقف - مرغما - ذلك الاعصار الجارف الذى يستهدف « قوتنا الضاربة » فى صورة منخطط شرير .. مرسوم ومندروس !!

لقد فعلها « سيكوتورى » ، من قبل ، فى غانا . جعل « الاعدام » جزاء وفاقا لكل من يتجر فى المخدرات .. وايضا لكل من يتعاطاها ، فحمى بذلك شعبه من السقوط فى مهاوى الهلاك . وفى نيجيريا ، أخيرا ، قضت احدى المحاكم باعدام امرأة ضبطت وفى حوزتها كمية من المخدرات . فهل يعقل ان تكون نحن اقل حرصا على قوة وعقول ابدان ابناء شعبنا من غانا .. ومن نيجيريا ؟! ومن المؤكد ان آيا من الشعبين : الغانى .. والنيجيرى .. لا يمكن ان يكون مستهدفا ، من قبل « تجار الموت » ، بمثل مانحن مستهدفون . فان « مصر » قوة .. قوة لها وزنها ، ولها خطرها ، ولها تأثيرها الذى

يدرك هؤلاء المخططون الشريريون انه ، وان كان قد غاب  
لبعض الوقت ، فانه لن يغيب كل الوقت ، ولن يغيب الى  
الابد . ومن هنا كانت « مصر » . . وكانت « قوتها  
الضاربة » ممثلة في شبابها ، وفي عمالها وصناعها ،  
مستهدفة . . ولسوف تظل « مصر » مستهدفة من هؤلاء  
الشريرين الذين يخططون ، ويدبرون ، لقتلها . . بقتل  
طاقات وارادات وعقول ابنائها . نعم انهم - وبكل سبق  
الاصرار والتعمد - يقتلون الشعب . . فاقتلوهم قبل ان  
يقتلوا الشعب . . ولا تأخذكم بهم ذرة من رحمة . فليس  
ثمة رحمة بمن لا يرحم . وليس ثمة رحمة لم يحاولوا  
- وعن اصرار وتعمد - قتل شعب بأكمله .

## عبد الناصر .. المفترى عليه والمفترى علينا .. !!

تحت هذا العنوان المثير ، نشر الكاتب الكبير « أنيس منصور » .. سلسلة من المقالات خلاصتها جميعا : « ان عبد الناصر كان طاغية . وكان ظالما . وكان يتلذذ باذلال الناس وأهدار كرامتهم . وكان « ماركسيا » . ولانه كان « ماركسيا » فقد كان « كافرا » لا يؤمن بالله ، ولا يرسله ، ولا يكتبه . وانه قبل هذا كله .. أو بعد هذا كله .. قد ذبح « مصر » وشرب من دمائها .. ولم يتردد في أن يقف بقدميه فوق جثتها .. لكي تطول قامته أكثر ، وترتفع أكثر !! وانه في خلاصة الخلاصة . كان تجسيدا لثلاثة من أشهر الطغاة الذين عرفهم تاريخنا المعاصر .. وهم : « هتلر » .. و « موسوليني » .. و « سالازار » وثلاثتهم — كما هو معروف — أشقوا شعوبهم ، وأذلوها ، واضاعوا كرامتها وعلموها كيف تخضع .. وكيف تخنع ، وكيف تسير وراءهم مثلما يسير « القطيع » وراء زعيمه !!

ولا جدال في ان « أنيس منصور » بحر تماما في ان يرى « عبد الناصر » على الصورة التي يجب ان يراه عليها . ولكن .. لا جدال أيضا في ان عشرات الملايين من الناس .. هنا في مصر .. وفي سائر الارض العربية على طول امتدادها من المحيط إلى الخليج .. لا يشاركونه هذه « النظرة » ولا يرون في « الصورة » التي يحاول ، بقلمه البارع .. والرشييق .. والمطيع له الى ابعاد حدود

الطاعة ، ادنى شبه من « الرجل » الذى عرفوه .. واحبوه .. وراوا فيه « رمزا » لبداية تحررهم من نير الاستعمار .. ومن نير الاقطاع .. ومن نير تسلط رأس المال على مصائر العباد ، ورقاب العباد !!

ولقد يكون هؤلاء الملايين من البشر .. هنا فى مصر .. وفى سائر الارض العربية على طول امتدادها من المحيط الى الخليج .. على حق فى نظرتهم هذه الى « عبدالناصر » وقد لا يكونون .. لكن هذا لاينفى ، مطلقا ، ان هذه « النظرة » قائمة .. وانها موجودة .. وانها ربما تكون قد ازدادت قوة بفضل تدافع كثير من الاحداث المؤسفة والمحنة ، والمريّة التى اتخذت من سائر الارض العربية على طول امتدادها من المحيط الى الخليج ، مسرحا تدوى فى جنباته .. وتهز كيانه وبنائه بتلك الصورة المروعة التى جعلت هذه الملايين من اصحاب هذه « النظرة الخاصة » الى « عبد الناصر » لا يبرحون يرددون : « انه لو كان بيننا .. لما جرى شيء واحد من كل ذلك الذى يجرى ، ولما استطاع « اقزام » لا هم فى العير .. ولا هم فى النفير ان يجترثوا على « مصر » بمثل ما اجتروا عليها بالامس .. واليوم .. وكل يوم !!

هكذا يقول هؤلاء الملايين من البشر . ولقد يكونون . ايضا ، على حق فى هذا الذى يقولونه .. وقد لا يكونون .. لكن المؤاكد انهم يقولونه .. وهم يقولونه ليس عن حماس فحسب .. وانما عن ايمان حقيقى ، واقتناع صادق .

واعود بعد هذا الى تكرار القول : ان « انيس منصور » حر تماما فى اختيار « النظرة » التى يحب هو شخصا ،

ان ينظر بها الى « عبد الناصر » . كما انه بحر تماما في اختيار « الصورة » التي يخب هو شخصيا ان يصوره عليها . ولكن .. بشرط ، وهو ان لا تأتى هذه « النظرة » ولا هذه « الصورة » متناقضة تناقضا كبيرا ولا صغيرا مع « نظرة اخرى » سبق ان نظر بها ، هو نفسه الى « عبد الناصر » ولا مع « صورة اخرى » سبق له هو نفسه ان رسمها لعبد الناصر .. الامر الذى يضع قراءه الكثيرين ، والمتشربين فى طول الارض العربية وعرضها ، فى حيرة بالغة من امرهم حينما يقرأون لكاتبهم الكبير .. والاثير .. مايقوله اليوم فى « عبد الناصر » .. ثم يتذكرون ماقاله فيه ، بالامس الذى لم يزل قريبا جدا .. ولم يفرق ، بعد ، فى « بحور النسيان » .. وماقاله « أنيس منصور » بالامس القريب ، فى « عبد الناصر » هو هذا :

●● « لقد كبر الشعب كله مع « عبد الناصر » لم يكن للناس حساب ، فأصبح لهم حساب . لم يكن للكرامة الانسانية وزن ، فصار لها وزن ، ولم يكن من حق احد ان يتكلم عن الحق ، فأصبح من حق كل انسان ان يناقش الحق . والعدل . والوحدة . والتضامن والتماسك فى الداخل والخارج . ولم يكن هذا الوطن ملكا لاهله ، فأصبح ملكا للجميع .. »

« وكان « عبد الناصر » واجهة شريفة .. ومشرفة لمصر وللعالم العربى .. وكانت « مصر » صغيرة ، فأصبحت كبيرة ، وكانت واحدة فى الدول ، فجعلها « عبد الناصر » قاعدة للحرية .. ومطارا للثورات .. وحصنا آمينا لكل صاحب رأى ، او صاحب فلسفة ، فمن دخلها فهو آمن على نفسه .. وعلى رأسه » !!

هذا ما قاله « أنيس منصور » بالامس القريب فى « عبد الناصر » وليس عن شك فى ان قراءه الكثيرين .. والمتشربين فى طول الارض العربية وعرضها سوف يتوقفون طويلا أمام كلماته الواضحة هذه .. التى ليس بها أدنى ألواء ولا عوج .. وقد استبعت بهم الحيرة ، واستبد بهم التساؤل : أى القولين فى « عبد الناصر » نصدق ، وايهما نكذب . ايهما نأخذ ، وايهما ندع . بايها نؤمن ، وبايها تكفر !!؟

ولست أعرف ، حقيقة ، بماذا أحيب على تساؤلات هؤلاء القراء . لكننى واثق من أن « أنيس منصور » يعرف .. وهو قادر ، بالتأكيد على ان يجيب ..

على أن اغرب ما أرتضى الكاتب الكبير ان يقوله عن « عبد الناصر » ، فى معرض النيل منه . والتعريض به " هو " مارواه نقلا عن الرئيس السورى الراحل « شكري القوتلى » من أن المغفور له الملك محمد الخامس ملك المغرب ، رأى والده « عبد الناصر » أثناء احتفال أقامه لتكريم الزعيم الروسى « خروشوف » ينحنى على بنة أبنة .. ويقبلها !!

ويكمل « أنيس منصور » روايته قائلا : وسكت الرئيس والملك .. ثم عاد الملك يهمس فى اذن القوتلى : ان رجلا يفعل هذا مع والده .. فما الذى لن يفعله مع بقية خلق الله !!؟

أنها رواية مستحيل أن يكون هناك عقل - مهما بلغ من سذاجة - مستعد لأن يصدقها . نعم .. مستحيل أن يكون هناك عقل مستعد لأن يصدق أنه يوجد على الارض أب يرتضى لنفسه أن ينحنى على يد

ابنه ويقبلها . كما أنه مستحيل . بنفس الدرجة ،  
أن يوجد على الأرض ابن يرتضى أن يتحنى أبوه على  
يده ويقبلها . ويشهد الله أنني رأيت بعيني رأسي أكثر  
من لقاء لعبد الناصر مع أبيه . ولم يحدث مرة أنني رأيت  
أحدهما يقبل يد الآخر .. وأنا كنت أرى احتراماً  
عميقاً ومحسوساً وملموساً من كلا الطرفين للآخر ..  
وبغير تزيد ولا افتعال ولا اسراف !!

ولست أدري كيف ارتضى عقل ذكي ومتوهج مثل  
عقل « أنيس منصور » أن يصدق مثل هذه الرواية  
التي استطيع أن أقطع بأن أحد روايتها كاذب ولن  
يحتضنها ، ويتبنّاها ، ويتحمل أمام الناس .. وأمام  
نفسه .. وضميره .. مسئولية إذاعتها ومسئولية  
نشرها !!!

لكن الشيء الذي قاله « أنيس منصور » .. واعتصرني  
حزناً وأسى ، أكثر من أي شيء آخر قاله في شخص  
« عبد الناصر » ، هو ذلك الذي قاله عن أهله .. وقومه  
.. عن « فلاحى مصر » الذين يتكون منهم بغير مغالاة  
ثلاثة أرباع الشعب المصرى . قال « أنيس » :

● كان عبد الناصر على حق عندما جعل نصف أعضاء  
مجلس الشعب من الفلاحين الذين نشأوا في الريف  
يحنون رءوسهم للعمدة الجالس على المصطبة ..  
ويضربهم « بالجزمة » فيقولون له : ضربك شرف  
يا عمدة !!

هل كان هذا يحدث يا أنيس .. !!!  
هل كان « العمدة » يضرب أهلك .. وقومك ..



وشعبيك « بالجزمة » فيقولون له : « ضربك شرف  
باعمة » !!

وهل إلى هذا المدى نجح « جرحك الشخصي » من  
« عبد الناصر » .. وسخطك الشخصي عليه في أن  
يجرك - وانت الذكي الأريب - إلى كل هذه  
الحاثير ؟ !!

على كل حال .. فلنسلم جدلاً بما لا يصح ، ولا  
ينبغي ، ولا يجوز ، أن نسلم به .. وهو : « أن  
العمدة في وقت ما كان يضرب أهلنا . وقومنا « بالجزمة »  
فيقولون له : « ضربك شرف باعمة » . نعم فلنسلم  
جدلاً بما لا يجوز .. ولا يصح .. ولا ينبغي أن نسلم به  
ثم لننظر ماذا يحدث اليوم على طول أرض مصر  
وعرضها ؟!

ان احداً لا يجروا . ولا يقدر . ولا يستطيع ان يمد  
يده ، - وليس جزمته - الى راس .. او الى وجه ..  
أصفر « فلاح » او اصفر « عامل » .. لقد صار  
ذلك شيئاً مستحيلاً .. او لعله صار شيئاً دونه قطع  
الرقاب . واذا كان يوجد على أرض مصر كلها « انسان »  
يرجع إليه الفضل الأول .. والاخير .. في هذا التحول  
الانساني - والاجتماعي - الكبير - والخطير - والعميق  
.. فلن يكون هذا « الانسان » غير « عبد الناصر » نفسه  
ولا احد سواه ..

الا أنني على الرغم من ذلك كله لا اشارك الشاعر  
نزار قباني « كذبه الشعري » .. واقول معه :  
شاعر العراق العظيم « مهدي الجواهري » صدقه  
« ان عبد الناصر كان آخر الانبياء » !! لكنني اقاسم

شاعر العراق العظيم « مهدي الجواهري » صدقه  
الشعري .. واقول معه : « ان عبد الناصر كان  
انسانا .. وكان انسانا عظيم الامجاد .. عظيم  
الاجطاء » .

وبين هذين القوسين الواقعيين : « الامجاد »  
و « الاجطاء » تنحصر شخصية الرجل ، وينحصر  
دوره ، وينحصر بالتسالى أو ينبغي أن ينحصر ،  
تحليله وتقويمه ... ووضعها بايجابياتها  
وسلبياتها معا ، وليس بايجابياتها وحدها ، ولا بسلبياتها  
وحدها ، فى مكانه الطبيعى بين « صناع التاريخ » .. أما  
كيل الشتائم له بذكاء أو بغير ذكاء .. بفظاظة أو بأناقة  
.. فذلك أمر فى مقدور أى انسان ان يفعله .. دونما أى  
ضرورة لان يكون كاتباً كبيراً . ولا صاحب قلم ذكى ورشيق  
.. مثل قلم « انيس منصور » !!

## حرية الصحافة .. وحوار النجوم .. !!

على يمين الصفحة الثالثة من جريدة « الاخبار »  
 .. وعلى يسارها .. جرى حوار لم يتواصل ، بين نجمين  
 لامعين من نجوم القلم : « جلال الدين الحمامصي » ..  
 و « محمود عبد المنعم مراد » . وكانت « حرية الصحافة »  
 هي موضوع ذلك الحوار . « جلال الدين الحمامصي »  
 - على يمين الصفحة - يرى : انه على الرغم من هذه  
 الجرعة الهائلة من الحرية التي اصبحت صحافتنا : قومية  
 .. ومعارضة .. تتمتع بها في عهد « مبارك » ، الا ان  
 الحاجة لم تزل ملحة الى « صحيفة مستقلة » .. لا تنتمي  
 الى الحكومة ولا الى المعارضة . وانما تنتمي الى « كل  
 مصر » ولا يسيطر عليها الا ضمير كتابها ومحرريها . وهي  
 « صورة » اقرب ما تكون الى صورة جريدة « الاهرام »  
 قبل تأميمها في سنة ١٩٦٠ .

ولا يختلف « عبد المنعم مراد » - على يسار الصفحة  
 - من حيث المبدأ مع يمينها . الا انه يرى ان « القدر  
 العظيم » من الحرية الذي تتمتع به صحافتنا القومية هذه  
 الايام ، يمكن ان يجعل من امنية « الصحيفة المستقلة »  
 عن هؤلاء .. واولئك .. « امنية مؤجلة » الى ظروف  
 افضل . لكن « يمين الصفحة » لا يوافق « يسارها » على  
 رايه .. ويزداد تمسكا بامنيته .. وبأن كل الظروف التي

يعمر بها وطننا في الوقت الحاضر ، ليست ضد تحقيق هذه الامنية .. بل لعل هذه الظروف نفسها ان تكون موجبة لوجود هذه « الصحيفة » التي يتطلع اليها « الحمامى » مستقلة عن الجميع .. وملكا ، في ذات الوقت للجميع .. لمصر كلها .

وانامع « جلال الدين الحمامى » - على طول الخط - في « أمنيته » التي اعترف بأنها نفس أمنيته التي طالما راودتني ، وطالما حدثت بها نفسي . وليس من شأن هذه « الامنية » ان تنفى عن صحافتنا : قومية .. ومعارضة . ذلك القدر العظيم من الحرية الذي أصبحت تتمتع به في عهد « مبارك » .. والذي لم يسبق لها - والحق أحق بأن يذكر ويسجل - ان تنسب ذرة منه في عهد الرئيسين الراحلين : عبد الناصر .. والسادات .

●●● ففي عهد « عبد الناصر » . كان مفهوم « حرية الصحافة » عنده . يعنى : « حرية صحفية واحدة » .. هي « الأهرام » . و « حرية صحفى واحدة » .. هو : « محمد حسنين هيكل » . وفيما عدا هذا « الصحفى » .. وهذه « الصحيفة » .. لم تكن هناك حرية لصحفى .. ولا لصحيفة . وكانت هذه - ولا سبيل هنا لمغالطة النفس .. ولا لمغالطة الآخرين - واحدة من اكبر اخطاء « عبد الناصر » .. اذ ترتب عليها - طبقا « لقانون السببية » - ان أصيبت كل الصحف الاخرى بداء « الكساح » . فلم تعد تستطيع ان تجرى . ولم تعد تستطيع ان تمشي . ولم تعد تستطيع الا ان تنكفى على نفسها : تنظر .. وتعجب - ويذبحها من الاعماق الحزن

على حالها .. وكانت النتيجة النهائية ان فقست « الصحافة المصرية » دورها الزائد .. وألوث .. والفعال في المنطقة العربية بأسرها ، وهو الدور الذي ظلت صحافتنا محتفظة به لنفسها .. منذ ان كانت في « مصر » صحافة .. والى ان وقعت واقعة « التأميم » التي دخلت بها صحافتنا كلها - فيما عدا « الاهرام » طبعا - دائرة التنفس بالامر .. والتكلم بالامر .. والتلفت نحو اليسار او نحو اليمين .. بالامر !! . وكانت هذه فرصة لصحافة لبنان - ليس كمثلها فرصة - لكي تسحب « السجادة » بالكامل من تحت اقدام « الصحافة المصرية العريقة » .. ولكي تحتل - بمفردها - الساحة العربية كلها .. تنطلق فيها متحررة من كل قيد .. ومن كل شرط . ومن ثم - راحت تزدهر - وتتفوق - وتتقدم - بعد اذ خلت لها الساحة تماما من صحافة كانت ناجحة - وقوية - وقادرة في كل وقت ، على ان تسد في وجهها على كل منافذ الطريق .

●● ثم جاء « السادات » ..

جاء ليعطي الصحافة قدرا من الحرية . لكنها - والحق هنا أيضا احق بأن يذكر ويسجل - كانت « حرية نهش عبد الناصر » .. ونهش عصره .. ونهش انجازاته - كل انجازاته - ف « اشتراكيته » ، على سبيل المثال ، لم تكن سوى « خطة مأكرة » ابتدعها الرجل ابتداعا لكي يصل من رائها الى هدف حدده مسبقا .. وهو : « افقر الاغنياء .. وزيادة الفقراء قراء » !!

و « سده العالي » لم يكن هو الآخر سوى « مشروع

« خبيث » .. الغاية الوحيدة منه هي : « تخريب الارض الزراعية » .. وتعتيم خصوصيتها » .. !! اما « ضرب دولة الاحتكارات الاجنبية التي كانت متسلطة على جميع مقدراتنا » .. فقد كان عملا لم ينطلق من اى منطق وطني .. او ثورى .. وانما انطلق من منطق الحق .. والحق وحده .. وان الرجل لم يضرب ضربه هذه الا بهدف ان يشعر الجميع بأنهم « يأكلون خبزهم » من بين أصابعه .. ولا شيء غير ذلك !!

وهكذا .. وهكذا .. الى آخر هذه النوعية من « المقولات » التي يشهد كل منصف بأنه لم يكن هناك اى قيد .. من اى نوع . لا على قولها ، ولا على تكرارها ، ولا على التهويل فيها .. وتجسيدها .. لعلها تسهم فى « دفن » الرجل ، وفى طى صورته - وسيرته . وصيرته فيذهب من عيون الجماهير . ومن قلوبها ، وعقولها . وكأنه لم يكن .. !!

لكن شيئا من ذلك الذى أريد بالرجل لم يحدث . وبقي على النكران . وعصيا كذلك على كل أولئك الذين استنفدوا « عبد الناصر » حيا .. عصيا على النسيان . وعصيا كل قواهم ، وكل جهودهم فى محاولات فاشلة .. هدفها طمس صورته .. وطى سيرته . ومسيرته !!

وفيما عدا « حرية نهش عبد الناصر » ، ونهش عصره ونهش انجازاته كلها .. فان « القيد الساداتى » على « الصحافة » كان حديديا . وكان قويا . وكان مفروضا على كل كلمة .. وعلى كل همسة . ومازلنا جميعا نذكر كيف ان صحفيا عملاقا مثل « مصطفى أمين » لم يتردد

« السادات » لحظة فى أن يصدر اليه أمرا بالتوقف عن الكتابة .. لانه انتقد فى « فكرة » مسلك أعضاء « حزب مصر » الذين تخلوا عن حزبهم .. و « هرولوا » مسارعين الى الانضمام « للحزب الوطنى .. لمجرد ان « السادات » هو الذى انشأه . مع ان « السادات » لم يكن بعيدا ، بآية صورة من الصور ، عن انشاء « حزب مصر » .. وان قد تخلص عن رئاسته لرئيس وزرائه .. السيد معدوح سالم .

اما « صحافة المعارضة » .. فكلنا يعرف كم كان « السادات » دائم الضيق بها .. شديد السخط عليها . فصادرها اكثر من مرة . ووقفها أكثر من مرة . وعندما وصل به ضيقه بها ، وسخطه عليها الى ذروته .. يتردد فى ان يسلط عليها « مخالف ديموقراطيته ... وانيابها ففرمتها فرما » على حد ذلك « التعبير الخاص » الذى كان مفضلا عنده .. واثرا لديه !! ..

●● ثم جاء حسنى مبارك ..

جاء مستفيدا فى هذا المضمار ، والى ابعاد حدود الاستفادة ، من تلكما التجريبتين السابقتين عليه .. ومستوعبا تماما لكل ابعادهما .. ومن ثم ، لم يختص برضائه صحيفة بذاتها .. ولا صحفيا بعينه .. كما لم يختص صحيفة اخرى ، ولا صحفيا آخر بسخطه او بغضبه .. وانما جعل الصحفيين كلهم والصحف كلها سواء لديه . لا فضل لاحدهم على الآخر الا بعمله .. والا بجهده .. والا بعطائه الصادق لصحيفته . ولبلده . من خلال صحيفته .. ومن هنا انطلقت « الصحف القومية »

التي كان « السادات » حريصا على انتهاز كل فرصة لكي يلومها . ويعنفها . ويضارح أهلها بغضبه منهم وعليهم .

أقول : انطلقت « الصحف القومية » في عهد مبارك ، تمارس حريتها كاملة ، وتمارس دورها كاملا . وتمارس « نقدها المر » لأمر كثيرة . ولأناس كثيرين . في أعلى مستويات المسؤولية . وهي ممارسة أحسب ان « الصحف القومية » كانت قد نسيته ، تماما منذ ان دخلت « حظيرة التأميم » في سنة ١٩٦٠ ، والى ان وقعت واقعة « المنصة » التي جاء « مبارك » ، في أعقابها ، الى الحكم . عاقدا العزم على أن يعطى صحافتنا كلها : قومية . ومعارضة « كل الحرية » التي تعينها على استرداد مكانها . في أقصر وقت ، وبأقوى ماتستطيع . .

ولم يكن « صحافة المعارضة » اكثر ترفقا ب « حسنى مبارك » منها ب « السادات » . فلم تقل فيه . وفي منهجه ، وفي أسلوب حكمه . شيئا اقل مما كانت تقوله في « السادات » وفي منهجه ، وفي أسلوب حكمه . بل لعل الصحيح أن « صحافة المعارضة » - اعتمادا على مناخ الحرية . والتسامح . الذي نشره « مبارك » من حوله - انطلقت تقول فيه ، وفي منهجه ، وفي أسلوب حكمه . ما لم تقل شيئا منه في « السادات » . على الرقم من ذلك البون الشاسع الذي يباعد بين الرجلين . والاسلوبين والمنهجين في الحكم . وفي الحياة .!! بل لقد عمدت بعض هذه الصحف - كنوع من اصطناع الجراءة والشجاعة . . أو استعراض القوة والعضلات -



أن تتجاوزه ، عند مخاطبتها لـ « رمز الدولة .. ورئيس كل المصريين » ..

وربما يكون الرجل قد ضاقت صدرها بهذا التجاوز .. وربما يكون قد عبر - صراحة - عن هذا الضيق في مناسبة .. أو مناسبتين .. ولكنه ، مع ذلك ، ظل شديد الحرص على الامعان في التمسك بالحسرية .. واستبقاء الامر في « دائرة العتاب » من الكبير للصغير ، ولم يخرج به - مرة واحدة - الى دائرة التوقيف . او المحاكمة .. او المصادرة . او التهديد بـ « المفرمة » .. او بـ « المخالب والانياب » .

أن الصحافة ، بغير حرية حقيقية . وصادقة . وكاملة ، لن تخرج - في أحسن صورها - عن كونها مجرد « كمية من الورق » .. مسكوب عليها قدر من « الجبر الاخرس » الذي لا يقول شيئا . ولا يجرؤ . ولا يستطيع . ومن هنا ، تبرز « القيمة الحقيقية » لهذه الجرعة الهائلة من الحرية التي هيأها « مبارك » لكل صحافتنا : قومية .. ومعارضة . فدفعنا « ماء الحياة » الى شجرتها التي كانت قد اصفرت اوراقها .. وتيبست أقصانها .. وتهيأت هي نفسها للموت عطشا ، أو للموت اختناقا .. بعد أن قضت ثمانية وعشرين عاما لا تتنفس .. ولا تروى !!

ومن هنا ، أيضا ، تبرز « القيمة الحقيقية » لامنية « جلال الدين الحمامصي » بأن تكون لدينا - الى جانب صنفنا التي بدأ « ماء الحياة » يتدفق الى عروقها - « صحيفة مستقلة » .. مستقلة تماما عن الحكومة ، ومستقلة تماما عن المعارضة ، ومستقلة تماما عن كل تيار ظاهر او خفي .. سياسى كان او دينى ..

اننى آكاد اثق بأنه فى اليوم الذى تتحقق لنا فيه مثل هذه « الامنية » .. فان الارض سوف تنشق عن « جيش جديد » من المفكرين والكتاب الذين يحرصون على الابتعاد بأنفسهم عن أن « يصنفوا » بأنهم مع الحكومة .. وضد المعارضة . او بأنهم مع هذه .. وضد تلك . وهذا . فى حد ذاته ، كسب هائل . كسب يساوى أن تبقى « الامنية » على قيد الحياة .. الى اللحظة التى سوف تراها فيها الجواهر « حقيقة واقعة » ..

وانى واثق من انها سوف تراها . وسوف تفرح بها . وسوف تدق لها الطبول .. كما لم تدقها لصحيفة سواها .

## الرفاق حائرون .. يتساءلون

بتهامسون

— ان من يقرأ لك دفاعك عن « عبد الناصر » ، دون ان يكون لديه علم بما أصابك على يديه — شخصيا — فى رزقك ، وفى مسيرتك .. يتصور ، على الفور ، انك لابد وأن تكون واحدا من أولئك الذين كانوا ، على أيامه ، غارقين فى « النعيم » الى آذانهم — بينما انا اعرف : كم قاسيت .. وكم عانيت .. على مدى اكثر من عشرين سنة ، صودت فيها قلمك .. وأوقفت فيها مسيرتك بقرار شخصى منه ، فهل استطيع ان اجد عندك تفسيرا لهذا الذى يحيرنى فى أمرك ؟

هذا ما قالته لى سيدة فاضلة تعرف عنى الكثير . وتتابع كل ما كتبه .

وهذه السيدة الفاضلة . ليست هى — الوحيدة — التى حيرها ، كما تقول ، أمرى . ولا هى — الوحيدة — التى يحيرها دفاعى عن « عبد الناصر » . كثيرون غيرها ممن يعرفون ماذا أصابنى على يديه ، وحجم ذلك الذى أصابنى .. تملكهم نفس الحيرة ، وتستبد بهم نفس التساؤلات . فلقد قال لى صديق عزيز، قرأ ما جاء فى « اسبوعيات » العدد الاسبق عن « عبد الناصر » ..

— فى فقرة من فقرات « اسبوعياتك » فى « آخر ساعة » وجدتكَ تنسب الى « عبد الناصر » — وبصراحة مطلقة — « مسئوليته المباشرة » عما أصاب صحافتنا من

« كساح » نتيجة لقيامه بـ « يحبس » الحرية الصحفية  
عن كل الصحف ، وعن كل الصحفيين .. لحساب صحفي  
واحد ، وصحيفة واحدة ، ثم وجدتك فى « فقرة أخرى »  
تلت هذه مباشرة ، تدافع عنه « دفاعا مجيدا » فى مواجهة  
أولئك الذين يلذ لهم — على حد تعبيرك — ان ينهشوا  
شخصه ، وعصره ، وانجازاته جميعا — الا ترى معنى ان  
فى هذا شيئا من « التناقض » ، ربما يحتاج منك الى ان  
تجلوه لى .. ولغرى ايضا ؟

ولهذه السيدة الفاضلة .. ولهذا الصديق العزيز ..  
وايضا لكل « الرفاق » الذين يرون فى موقفى من « عبد  
الناصر » — بعد كل ما اصابنى منه — « لغزا » يحتاج منى  
لان أجلوه لهم بما يضع حدا لحيرتهم من امرى .. لكل  
هؤلاء اقول :

اننى لا ارى فى « موقفى » من « عبد الناصر » لغزا ..  
ولا شبه لغز .. اذ ان الامر عندى — وببساطة شديدة  
— هو اننى تعودت ان انظر الى « الرجل » بكلتا عينى .  
وايضا من كل الزوايا . واصمم — انصافا لنفسى .. قبل  
ان يكون ذلك انصافا له ، ولا انحيازاً ولا أنبهاراً — ان  
لا انظر اليه ، ابدا ، بعين واحدة .. ولا من زاوية واحدة  
.. ولاننى انظر الى « عبد الناصر » ، كما قلت ، بكلتا  
عينى .. ومن كل الزوايا .. فلقد كانت النتيجة الحتمية ،  
والطبيعية ، لذلك . هى ان صارت لى القدرة على أن ارى  
« أمجاد العظيمة » بعين .. فى ذات الوقت الذى صارت  
لى فيه القدرة على أن ارى ، بعينى الثانية ، اخطاءه التى  
كانت « عظيمة » هى الاخرى .. وألتى كان من بينها —  
وربما فى مقدمتها — ذلك « الكساح » الذى أصاب به

صحافتنا كلها : وصحفيينا كلهم .. لحساب صحيفة واحدة ، وصحفي واحد !!  
وفى يقينى أنه ليس مما ينتقص « مثقال ذرة » من قدر « عبد الناصر » .. ولا من دوره .. ولا من اثره العظيم والخطير فى مسار الامة العربية جميعها ، ان تكون له « أخطاء » . فذلك « شئ بشرى » وأرد - بالضرورة - عليه .. باعتباره « بشرا زعيما » .. وليس .. « ملاكا مجنحا » ، ولا « نبيا معصوما » !!

واذا كان « عبد الناصر » قد جنح ، فى وقت ما .. وتحت ظروف ما ، الى أن يتعامل مع خصومه الشخصيين وأيضا مع خصوم فكره ، وخصوم ثورته ، بقدر مسن « القسوة » ، او من « العنف » قليل او كثير ، فليس ينبغى لنا ان ننسى .. ولا ان نتناسى .. ان هؤلاء الخصوم أنفسهم هم الذين فرضوا عليه - فرضا - ذلك القدر القليل او الكثير من « القسوة » .. ومن « العنف » الذى اضطر الى معاملتهم به . والا .. فليعانى الذين يحلو لهم أن ينهشوا لحم « عبد الناصر » - حيا .. وميتا - على « ثورة واحدة » .. واحدة فقط - على مدار التاريخ كله - هيا لها خصومها المدافع ، والقنابل ، والمتفجرات التى يهاجموها بها ، ولكى ينسفوا بها الأرض من تحت أقدامها .. فما كان منها الا ان « ربتت بيدها الحانية » على خدود هؤلاء الخصوم .. ثم رمتهم بالورود والرياحين بدلا من مواجهة رصاصهم برصاصها .. وعنفهم بعنف اقصى واشد !!؟

ان شيئا مثل هذا لم يحدث على مدار التاريخ ، فى اى بلد فى العالم قامت فيه « ثورة » تريد ان تهدم «القديم»

لكي تقيم « جديدا » على انقاضه . لم يحدث هذا في  
فرنسا ، ولا في روسيا ، ولا في الصين ، ولا حتى في  
اليمن !!

ثم ... لماذا نذهب بعيداً هكذا ؟!

لماذا نذهب الى فرنسا ، والى روسيا ، والى الصين ،  
والى اليمن . وعندنا « الأمثلة » قريبة جدا منا في انفسنا  
ـ وعلى ارضنا ـ لكننا ـ للأسف الشديد ـ ننسى ..  
أو لعنا نحب أن ننسى .. ولعل الذين يحبون أن ينسوا  
ربما أكثر من غيرهم . هم أولئك السادة من كتاب التاريخ  
الذين يتوفرون على كتابة « تاريخ ثورة بوليو » ..  
و « تاريخ عبد الناصر » !!

●●● عندنا « اسماعيل صدقي » .. و « محمد محمود »  
ـ بل و « مصطفى النحاس » نفسه ـ ولم يكن أى منهم  
ـ ولا هم جميعا ـ « ثورة » .. ولا « شبه ثورة » ..  
جاءت وفي بيتها ان « قلب الأرض » وتحدث في « تركيبة  
المجتمع » تفسيرا حقيقيا يمتد الى الأعماق .. والى الجذور  
ومع ذلك ، فلقد كان لكل منهم على حدة .. كما كان لهم  
مجتمعين .. « مواقف » تميزت بالعنف .. وبالقسوة .  
مع خصومهم الشخصيين ، وايضا مع خصوم أفكارهم  
وتوجهاتهم .. فتحكم « محمد محمود » في سنة ١٩٢٨  
بالحدية وبالنار .. وعطل الدستور ، وتعقب الصحف  
الوطنية ، وزج بخصومه السياسيين في قياب السجون  
واختار مكانه .. وبلا أى مدارة أو خجل ـ بين مكانه ..  
وبلا أى مدارة أو خجل ـ بين « أعداء الشعب »  
الحقيقيين .. والسافرين : « الانجليز » .. و « الملك » !!

وما فعله « محمد محمود » بالشعب في سنة ١٩٢٨ ،  
 وجاء « اسماعيل صدقي » في سنة ١٩٣٠ ، فكرره بنفس  
 حروفه ، ولكن .. بوقاحة اكبر ، وبعنف اكثر !! ولم  
 يستطع « مصطفى النحاس » في سنة ١٩٤٢ ، أن يتجنب  
 « القسوة » .. ولا ان يتجنب « العنف » في تعامله  
 مع خصومه السياسيين الذين رأى من وجهة نظره انهم  
 يزرعون الارض - من تحته - بالالغام .. وبالتعاب ..  
 فزج في المعتقل بصديق عمره .. ورفيق نضاله الوطني  
 وكفاحه .. « مكرم عبيد باشا » !! كما اعتقل « على  
 ماهر باشا » .. وكذلك اعتقل من رجال القوات المسلحة  
 « الأمير الـي » احمد فؤاد صادق و « الـوزباشي » اتور  
 السادات وقائد الاسراب حسن عزت . والمصحفين :  
 جلال الدين الحمامصي .. وموسى صبرى .. وكثيرين  
 غيرهم من العناصر الوطنية الذين لا تحضرني الآن أسماؤهم  
 .. والذين كان أشد ما يؤسف له في أمر اعتقال اكثرهم  
 انه تم - بناء على طلب شخصي .. ومباشر - من « سلطات  
 الاحتلال البريطاني » !!

وما فعله ، في سنة ١٩٤٢ . « زعيم الاغلبية الشعبية  
 الساقطة » - كرده في سنة ١٩٤٩ رئيس الوزراء ...  
 والحاكم العسكري العام .. « ابراهيم عبد الهادي » ..  
 ولكن بدرجة من العنف ، لعلها كانت أقطع وابشع ..  
 ولعل خصومه السياسيين أن يكونوا هم المسئولين عن هذا  
 « الأسلوب » الاقطع .. والابشع الذي عاملهم به .. ولعله  
 هو لم تكن لديه فرصة للاختيار .

ثم جاءت « ثورة يوليو » فحاكمت « ابراهيم عبد الهادي »  
 وحكمت عليه محكمتها بالاعدام شنقا .. ثم خفف « مجلس

قيادة الثورة « الحكم الى « الاشغال الشاقة المؤبدة » لقاء  
ما فعله بهؤلاء الخصوم ، ثم مالبث هؤلاء الخصوم انفسهم  
ان اوقعوا الثورة معهم فى نفس المآزق الذى سبق لهم  
ان اوقعوا فيه « الرجل » الذى حاكمته الثورة وحكمت  
عليه بالاعدام بسببهم .. ومن اجلهم !! ومن ثم ، كان  
« امرا مقضيا » ان تعاملهم الثورة .. وان يعاملهم « عبد  
الناصر » بأسلوب لعله كان اشد قسوة . ذلك لان الخطر  
نفسه كان قد صار اشد هولا . ولان المعركة بين الطرفين  
كانت قد اسفرت عن وجهها تماما ، ومضت تلخص نفسها  
فى كلمتين اثنتين هما : من الذى يسبق ، فيقضى على الاخر ؟

ومن المؤكد انه لم يكن هناك بديل .. ومن يقول ، بغير  
هذا ، انما يكذب كذبتين : كذبة على نفسه .. وكذبة اخرى  
على التاريخ !!

ولا جدال فى ان من حق الذين اصابهم « عبد الناصر »  
— شخصيا — او اصابتهم ثورته .. وقراراتها ..  
وتوجهاتها .. بجرح او بجراح — لا جدال فى ان من  
حقهم جميعا ان يتوجهوا .. ومن حقهم جميعا ان يتألموا .  
فذلك حق مشروع لهم لا يملك أحد ان يستنكره منهم ،  
ولا ان ينكره عليهم . ولكن .. ان تتحول القضية الى  
مرارة متواصلة .. والى « حقذا اسود .. مستعر او  
مستقر » وآلى « حواديت وقصص وحكايات » قليلها  
صحيح ، وموجع ، واليم .. وكثيرها « من نسج الخيال »  
اصطناعا لبطولة لم تحدث ، او ابتداعا لبسالة لم يكن لها  
وجود .. فذلك — بالتأكيد — هو مانستنكره منهم ..  
وناباه عليهم . لماذا ؟ لانه ، من ناحية ، « متاجرة بالالام »



حيث لا يصح لانسان يحترم نفسه .. ويحترم كرامته ..  
 أن يتاجر بأحزانه ولا بالامه .. ولانه ، من ناحية أخرى ،  
 لن يكون له من نتيجة عملية غير « الخصم من رصيدهم »  
 لدى الذين يتابعون - أن كان هناك من يتابعون - حكاياتهم  
 وحواديتهم .. آلتى تجافى العقل ، وتخاصم المنطق ،  
 وتفتقر حتى الى عنصر التشويق الذى لا تخلو منه -  
 عادة حواديت الصغار !!

ان كلمة الحق - أيا ماكان اتجاه الريح التى تحملها -  
 انما تستمد قيمتها ، وقامتها ، وقوتها .. من قدرتنا على  
 أن نقولها فى حق خصومنا ، قبل اصدقائنا ، واحسبني  
 فى كل ماقلت عن « عبد الناصر » وايضا فى كل  
 ما سوف اقله عنه ، لم افعل .. ولن افعل .. اكثر  
 من اننى احاول ان أقول فيه « كلمة حق » مبراة من  
 الحقد ومن المرارة .. ومنزهة عن الانحياز وعن الانبهار  
 والهوى .. ومعتمدة اساسا - وبالدرجة الاولى - على  
 تصميم راسخ من جانبى على ان انظر إليه بكلتا عينى ..  
 ومن كل الزوايا .. وليس بعين واحدة فقط .. ولا من  
 زاوية واحدة فحسب .

هذه - ببساطة شديدة - هى كل ابعاد موقفى من عبد  
 الناصر .. ولعلها ان تكون مقنعة لكل أولئك الذين قالوا  
 .. ويقولون .. انهم لا يستطيعون أن يفهموا موقفى ، او  
 ان امرى يحيرهم !!

رقم الايداع ٤٤٣٢ - ١٩٨٧

الترقيم الدولي : ٧ - ٣٠٨ - ١١٨ - ٩٧٧ ISBN

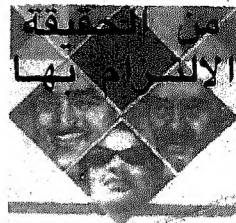
## وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

السيد / عبد المال بسيوني زغلول -  
الكويت : الصفاة - ص ٠ ب رقم ٢١٨٢٣ تليفون ٧٤١١٦٤

### اسعار البيع للعدد العادى فئة ٧٥ قرشاً :

سوريا ١٨٠٠ ق . من لبنان ٣٠ ليرة الاردن ٥٠٠ فلس الكويت ٤٠٠ فلس العراق ١٦٠٠  
فلس السعودية ٧ ريال السودان ٢٥٠ ق . سودانيا البحرين ٨٠٠ فلس الدوحة ٨  
ريالات دبي ٨ دراهم ابو ظبى ٨ دراهم مسقط ٨٠٠ بييسه تونس ١٦٠٠ مليم المغرب  
١٥٠٠ فرنك غزة والضفة ٧٥ سنتا اليمن الشمالية ١٣ ريال عدن ١٤٤ سنتا الصومال  
١٣٠ بنى لاجوس ١٢٠ بنى داکار ١٠٠٠ فرنك لندن ١٥٠ سنتا اثينا ٢٠٠ دراخمة كندا  
٥٠٠ سنت البرازيل ٦٠٠ سنت استراليا ٦٠٠ سنت ايطاليا ٣٠٠٠ ليرة

أجمل



## هذا الكتاب

هذه كلمات مصرية ، من قلب مصرى أصيل ، ومن نبض انتمائى الى هذه الارض الطيبة .

وهو قد كتب كلماته فى حب مصر ، فى الوقت الذى كان عليه ان يغيب عن احضان حبيبته كارها ، أو بالأصح مكرها ، ومع ذلك فانه لم يفقد حبه لحظة ولم يفقد ايمانه دقيقة ، ولم يفقد جذوره طرفة عين . وهذه الكلمات المصرية مضى عليها حين من الدهر . ورغم ذلك فكأنها مكتوبة اليوم ، بل كأنها مكتوبة من اجل الخد ، فالذى يعيش وطنه فى ضميره ، وفى كيانه ، وفى قلبه وفى كل مشاعره لابد ان يرى ما وراء الحجب ، ويستشف ما خلف الاستار ، ويقرأ كتاب الغد برويته الثاقبة ، ووعيه المتفتح ، وايمانه المتصل ، وقيمه الذى لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ان كلمات مصرية هى عنوان صادق لكلمات الكاتب الكبير الاستاذ حلمى سلام . ففيها حياة مصر . وفيها نبض مصر . وفيها مستقبل مصر .

وهى كلمات كتبها فى « الفجر » ولكنها مثل الاذان صالحة لكل وقت ، ولكل صلاة فى حب مصر . ولقد دفع الكاتب ثمننا غاليا لهذه الكلمات ، حيث كان عليه ان يغادر قلمه وأوراقه وان يختفى صوته وراء حاجز من الصمت الرهيب وقد قبل حلمى سلام ان يدفع ثمن حبه لمصر وذهب الذين تأمروا على قلم حلمى سلام . وبقيت كلماته المصرية معبرة واصيلة وخالدة .. وهذه هى سطورته التى كانت سببا فى ان يعانق الصمت جبرا وهو اقصى ما يمكن ان يتعرض له قلم حر وشريف .

